D: D 2571

ULB Halle
000 877 883
3/1

Universitäts- und Landesbibliothek Sachsen-Anhalt
urn:nbn:de:gbv:3:5-4955/fragment/page=00000002

هذا كتاب البهجة السنية لشرح
القصيدة الزينبية تاليف العلامة
الفاضل والنحرير الكامل
الشيخ عبد المعطى
السملاوى
رحمه الله
آمين

BIBLIOTHEK
der
Deutschen
Morgenländischen
Gesellschaft.

Aus
THORBECKE'S
Vermächtniss

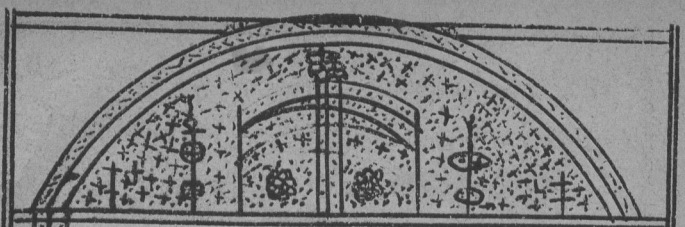

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله الذي ابتلى العاشقين بالهيام وجعلهم حيارى سكارى بين الانام فمنهم من اذاكت شقته الاسقام والآلام ولم يفز بمطلوبه حتى تصرم منه العمر اي انصرام ومنهم من حاول المحبة حتى نحل منه الجسم ونخرت منه العظام ومنهم من صام وقام وحرم على نفسه لذيذ المنام حتى غاب في مشاهدة محبوبه ففاز منه بالاكرام والصلاة والسلام على سيدنا محمد عدد تعاقب السنين والاعوام صلاة وسلاما دائمين متلازمين على ممر الليالي والايام (وبعد) فيقول العبد الفقير الى عفو الباري عبد المعطي بن سالم بن عمر ابن عمر بن احمد السملاوي لما كان المدح ارفع مقاصد الشعراء واعلاها وانفسها واغلاها اذ هو راس مال الشاعر الذي يعول عليه ومقصده الذي يرجع في التوسل للمقاصد السنية اليه قد ملئت به الدواوين وشحنت به الدفاتر وحفيت بكثرته الاقلام ونفدت دون نفاده المحابر وكانت المقدمة المنسوبة الى الامام علي بن ابي طالب انفس الدفائع والمواعظ عقدا واعلاها مقاما واعذبها وردا اقتضى

لذلك غرضي واشارة بعض اخواني في الله تعالى ان اقتضب عليها
شرحا ثالثا لطيفا يحل بعض الفاظها وبين معانيها ويقرب
ما بعدتناوله من ثمار مقاصدها المتراكبة لاقطاف جانيها
اخذته من كتب عديدة لا قدرة للفقير على تحصيل اصولها
ككتاب كنه المراد بشرح بانت سعاد وكتاب زهرة
الرياض ونزهة القلوب المراض وكتاب حادي قلوب
الابرار الى دار القرار وشرح لامية العجم وكتاب فتح
الباري على البخاري وشرح العشماوية وشرح الجوهرة
للشيخ عبد السلام والقول المختصر في علامات المهدي
المنتظر وتهذيب الاسماء واللغات وشرح المناوي الكبير
وكتاب الطبقات للمناوي وكتاب مختصر التذكرة
للشعراني وفتاوى الرملي وفتاوى ابن حجر والدر المنضود
في الصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود وكتاب
اسنى المطالب والتحفة السنية وكتاب فضيلة الكلاب
على كثير ممن لبس الثياب والجلالين وشرح الجوهرة الكبير
والقاموس والفتح المبين ومختصر الزواجر وشرح الاربعين
للنووي وانس المنقطعين والاقناع للخطيب الشربيني والمصباح
وسهام الاصابة ومختصر الغزالي وتائية السبكي وحياة
الحيوان والصواعق والنعمة الكبرى والفاكهة الوردية
وتذكرة الطالب وغير ذلك من كتب جليلة يطول ذكرها
وسميته البهجة السنية بشرح القصيدة الزينبية

اسأل الله ان ينفع به كما نفع باصوله انه جواد كريم رؤف
رحيم وتامل ايها الواقف عليه ان كان صوابا فلا تعدل
عنه وارجع اليه وان كان خطأ فاعذر وارخ اذيال الستر
عليه فانها خطرة على عجل والقلب متقلب في عوائقه
وهو على وجل وخصوصا انا ابو عذرتها واول من ركب
عنانها وفض ختامها والعفو من شيم الرجال والسخط
وظيفة الانذال وهذا اوان الشروع في المقصود فاقول
مستعينا بذكر الملك المعبود اعلم انه كان من عادة اكثر شعراء
العرب انهم اذا اتوا بقصيدة مدح افتتحوها بالتشبيب
وهو المعبر عنه بالغزل وهو عند المحققين من اهل الادب
يشتمل على اربعة انواع النوع الاول ذكر ما في المحب من الصفات
التي هي اسباب المحبة الدالة على المحبة كالشغف والنحول
والذبول والحزن والارق ونحو ذلك النوع الثاني ذكر
ما في المحبوب من الصفات التي هي اسباب المحبة سواء كانت
حسية كحمرة الخد ورشاقة القد وما في معناهما او معنوية
كالملاحة والخفر وما اشبه ذلك ويسمى هذا النوع
من التشبيب نسيبا ايضا النوع الثالث ذكر ما يتعلق بالمحب
والمحبوب من هجر وصد ووصل وسلو واعتذار ووفاء وجفاء
ونحو ذلك النوع الرابع ذكر ما يتعلق بغيرهما بسببهما
من الوشاة والرقباء ونحوهما وقد اتى المصنف ببعض ذلك
في قصيدته وقد جرت ايضا عادة من تغزل من العرب في شيء

ان يخاطب نفسه وهذا تسميه اهل المعانى والبيان التجريد وهو
ان يجرد الانسان من نفسه شخصا ويوجه اليه الخطاب كما
فى قول الاعشى مخاطبا نفسه ودع هريرة ان الركب مرتحل
وهل تطيق وداعا ايها الرجل وبعضهم المؤلف مخاطبا نفسه فقال

صرمت حبالك بعد وصلا ندنف والدهر فيه تصرف وتقلب

اعلم ان هذه القصيدة من بحر الكامل وان قافيتها تسمى متداركا
والقافية هى المتحركة مع الساكنين الاخيرين من البيت وهى على
خمسة انواع مترادف ومتدارك ومتراكب ومتواتر ومتكاوس
وقد بسطنا الكلام عليها فى الشرح الكبير والوسط وقوله
صرمت حبالك اى قطعت مواصلتك وفارقتك ولا شك
ان فراق الاحبة من اشد الامر واعظم الاحزان قال بعضهم
ان تاجيج نار المحبة وبلابل الشوق انما يعظم ويشتد عند
حصول الفراق وناهيك ما اخبر الله تعالى به عن يعقوب
عليه الصلاة والسلام فى فراقه يوسف بقوله تعالى فتولى عنهم
وقال يا اسفا على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم
قيل ما عفت عين يعقوب عليه الصلاة والسلام من حين
فراقه يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما ولله در القائل
انى لاكرم ان انام فالتقى بك فى الكرى خوف الفراق الثانى
ومن المعانى المستحسنة ما قيل ان الشمس تحمر عند الطلوع لمعنى
اللقاء وتصفر عند الغروب لمعنى الفراق والى ذلك يشير ابو العباس الاضبط بقوله
لا تركنن الى الفراق فانه مر المذاق فالشمس عند غروبها تصفر من الم الفراق

ومن كلام بعضهم ما خلق الله الفراق الا لتعذيب العشاق
وكان يقال حق الفراق ان تطير له القلوب وتطيش معه العقول
وتطيح معه النفوس وتجمر الغضى اهون تبريحا من نار الفراق
وما احلى قول الطغرائي حيث يقول

انى لاذكركم وقد بلغ الظما منى فاشرق بالزلال البارد
واقول ليت احبتى عاينتهم قبل الممات ولو بيوم واحد

ينبيه اذا استولى الحب على المحبين غلب عليهم العشق وعراهم
السهر وتقليل الطعام والشراب واستولى عليهم الفكر والوسواس
والسقم والضنى بل ربما يؤدى بهم الى الموت والهلاك وانشدت
بعض الجوارى تقول اذا ما شكوت الحب قالت كذبتنى
فما لى ارى الاعضاء منك كواسيا فلا حب حتى يلصق الجلد بالحشا
وتخرس حتى لا تجيب المناديا ولله در شرف الدين ابن الفارض
حيث يقول وعش سالما فالحب راحته عنا فاوله سقم
واخره قتل وقال بعضهم قد ينتهى الحب الى الوله والهيام
بحيث يختل عقل صاحبه ويصير كالمجنون الهائم على وجهه
وهذا موافق لما يقوله الاطباء من ان العشق نوع من المالنخوليا
والى ذلك يشير القائل بقوله

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم العشق اعظم مما بالمجانين
العشق لا يستفيق الدهر صاحبه وانما يصرع المجنون فى حين
وقد ينتهى الحال الى التتيم وهو الاسر والرق والذل وذلك ان
المحب اذا تعلق قلبه بالمحبوب واشتغل خاطره ببرصار قلبه فى يد

محبوبه يتصرف فيه كيف شاء فاشبه الاسير المقيد في يدمن
اسره والى ذلك يشير المستعين بالله بن الحكم الاموى
احد خلفاء الاندلس حيث يقول

عجبا يهاب الليث حدسنانى واهاب لحظ فواتر الاجفانِ
واقارع الاهوال لا متهيبا منها سوى الاعراض والهجرانِ
وتملكت نفسى ثلاث كالدمى زهر النجوم نواعم الابدانِ
حاكمت فيهن السلو الى الصبا ففضى لسلطان على سلطانى
فانحن من قلبى الحمى وتركنى فى عز ملكى كالاسير العانى

وقد قال الجنيد رضى الله عنه العشق آلة رحمانية والهام شوق
اوجبهما كرم الله تعالى على كل ذى روح لتحصل اللذة العظمى
التى لا يقدر على مثلها الا بتلك الالفة وما احسن قول القائل

ومن عجب انى جريح وكلما رمتنى بسهم بعدهم يداوى

وقال اعرابى العشق نبت بذره النظر وماؤه المراودة وثماره الوصل
وحصاده التجنى وقال بعضهم العشق محبة مفرطة وهو اخص
من المحبة لان كل عشق محبة من غير عكس وقول المؤلف زينب
هو علم على امراة فان قلت يمتنع التغزل اذا كان بشخص معين
او امراة اجنبية معينة قلت ليس فى كلامه امراة معينة بل جرى
على اكثر عادة الشعراء فلا منع فيه وقوله والدهر فيه
تصرم وفى نسخة تصرف وتقلب فيه تسلية عن حب زينب
حيث لم يصل لمقصوده من اساتها المعاشرة معه مثلا اذ لو
كان الانسان فى غاية الحسن والجمال وهو يتئ المعاشرة

وقليل الموافاة تجتنبه النفوس وتنفرت عنه القلوب وجفته الاصدقاء
ورفضته الاصحاب بل حسن السيرة يقدم على حسن الصورة
لانه افضل منه لعدم زوال اثره بخلاف حسن الصورة لانه ربما
يؤدى بصاحبه الى الوقوع فى المحن والبلاء الا ترى ان حسن
الصورة ادى بيوسف عليه السلام الى السجن وحسن السيرة
اوجب له الخروج والجلسه على سرير الملك ولما كانت زينب
اسات العشرة وقلات الموافاة ونفرت عنه وولع بها فلم يحل عن
مودتها بل لم يزدد فيها الا هياما كما اشار اليه فى قوله الاتى
نشرت ذوائبها تمثل بعضهم به ولله در القائل فى المعنى
العقل عقيلة الرجال والحب محلل العقال العقل يقول لا تبالغ
والحب يقول لا تبال وقد هلك كثير من المتيمين فى عشق من
احبوه صبرا على الوصال او تقديما للمروة على الشهوة فقد قيل
لرجل من بنى عذرة ما بال الرجل منكم يموت فى هوى امراة
فقال لان فينا جماعة وعفة وقال بعضهم ما نكح الحب الا فسد
ولله در القائل حيث يقول انزه فى روض الحاسن مقلتى
وامنع نفسى ان تنال محرما ولذلك نص العلماء على ان الميت
عشقا معدود من الشهداء كالمبطون والمطعون والغريق محتجين
بما قاله صلى الله عليه وسلم من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد
والى هذا المعنى يشير ابو القاسم القشيرى بقوله
ان المحب اذا توفى صابرا كانت منازله مع الشهداء
وفى قوله تصرم يقال تصرم الدهر اى تغير اهله من حال الى حال

وقد رخينا العنان في هذا المقام في الشرح الكبير والوسط فمن اراد
المراجعة فعليه بذلك ثم اشار المؤلف الى ما يستحسن من المرأة من سواد
شعرها فقال

نشرت ذوائبها التي تزهو بها سوداء ورأسك كالثغامة اشيب

اعلم ان المحبة تحصل بمعاينة ذات المحبوب او صفته او سماعه كما هنا
قال بعضهم ان سبب المحبة ثلاثة اشياء رؤية صورة او سماع نغمة
او سماع صفة وكان اعظم ذلك رؤية الذات واعظمها
سواد الشعر لان له تاثيرا عجاذبا في المحبة ويليه سماع النغمة
ويليه سماع الصفة فقد حكي ان اتمام الطائي سمع جارية
تغني بالفارسية فشجاه صوتها ولم يفهم كلامها فانشد هذه الابيات
فلم افهم معانيها ولكن شجت قلبي فلم احمل شجاها
فكنت كانني اعمى معنى يحب الغانيات ولا اراها
وقال العسكري في كتابه الاوائل وامر الصوت عجيب منه ما يقتل
كصوت الصاعقة ومنه ما يسر ويهيج حتى يرقص ويقلق
ومنه ما يزيل العقل ويورث الغشي وبه ينومون الصبيان
وبه تستخرج الحية من جحرها واهل الصناعات اذا خافوا الملل
ترنموا وتسقي الدواب بالصفير وتصغي باذانها اذا غنيت لها المكاء
وتزيد الابل في مشيها اذا حدا لها الحادي وغير ذلك مما يطول
ذكره واعظم من ذلك سواد العيون خلقة وكسر الجفون
وان عدل عن ذلك المؤلف وهو مما يزيد في الحسن والجمال
اذ النفوس تميل الى ذلك في الغالب وترغب اليه ولم تزل الشعراء

في القديم والحديث تتغزل في ذلك وقد قيل اغزل بيت قالته العرب قول جرير

إن العيون التي في طرفها حور قتلننا ثم لا يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله انسانا

وقوله

تغار الشمس منها حين تبدو كغصن البان في خضر البرود
باطراف من الحناء حمر والحاظ كبيض الهند سود

وقال بعضهم

ولما تلاقينا على سفح رامة وجدت بنان العامرية احمرا
ففلت خضبت الكف يوم فراقنا فقالت معاذ الله ذلك ما جرى
ولكنما اثناء بنا النوى بكيت دما حتى بللت به الثرى
مسحت باطراف البنان مدامعي فكان خضابا في اليدين كما ترى

٧ نسخة بعد

قال بعضهم الكحل وهو سواد العين خلقة اكمل في الحسن من الفتور في الجفون واعلى رتبة في الجمال واشد تاثيرا في القلوب والى ذلك اشار ابو اسحاق الغزي بقوله

راش الفتور له سهما فاخطاه حتى اتيح له سهم من الكحل

وقد يزيد الكحل على التكحل بالاثمد وغيره حسنا ولله در القائل

زادت على كحل العيون تكحلا ايسم نصل السيف وهو قتول

واما العشق على الصفة فان له تاثيرا عظيما وقد عشق بعضهم كثيرا على الصفة ولله در شاب حيث قال

يا قوم اذني لبعض الحي عاشقة والاذن تعشق قبل العين احيانا

قالوا بمن لا ترى تهوى ففلت لهم الاذن كالعين توفى القلب ما كانا
واما العشق على النظر فقد قال بعض الحكماء المراة تمر
على الرجل فتحرك نفسه بمجرد النظر اليها فان كرر النظر
اليها ازداد حبه فيها فان جلس حتى يراها كان الذى به اضعاف
ما كان فان نظرت اليه نظرة افتتن بها وصار فى جملة
العاشقين وقد قيل من اطلق ناظره اتعب خاطره ومن كثرت
لحظاته دامت حسراته ولله در القائل
وكنت متى ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر
رايت الذى لا كله انت قادر عليه ولا عن بعضه انت صابر
تنبيه ينبغى للمحب ان يصبر على هجر محبوبه ولا يظهر الشكوى
وان ادى ذلك الى غاية المشقة وان يرى هجر محبوبه الذ من
المن والسلوى فقد قال السيد الشريف الشيخ عبد العزيز المنوفى
اذا كان قلب المرء بيت حبيبه فقد اسس البنيان بالزهد والتقوى
وقد صح فى شرح المحبين انه اذا مات من شوق فلا يظهر الشكوى
وان قال انى مستهين الضرائر على كل حال فى الحقيقة ذو دعوى
وما الحب الا ان يرى ما اصابه الذ من المن المنزل والسلوى
وان نفحته نفحة احدية فما سوى المحبوب فى قلبه مأوى
نعوذ برب الناس من كل آفة ومن صحبة الاغيار فى السر والنجوى
ونسأله ان لا يكلنا اليهم فان الغنى عنهم هو الغاية القصوى
وقول المصنف نثرت ذوائبها الذوابة من الشعر ما له الجوهرى
وقوله نزهو اى تعجب وتفتخر وقوله سودا بضم اوله جمع اسود

وهو اللون المعروف والمعنى اسود كالليل الحالك وهو اعظم
وقوله وراسك كالثغامة اشيبا اى شعر راسك ابيض
كالثغامة وهو نبات ابيض كما هو مذكور في القاموس
تنبيه لم يذكر المؤلف من المحاسن الا سواد الشعر فقط
ولا شك انه تحصل به تعلق القلب اكثر من غيره مما تشتمل عليه
محاسن المراة من دقة سنها وخصرها وانفها وبنانها ومن
غاظ ساقها ومعصمها وعجيزتها ومن سعة جبينها وجبهتها
وعينها وصدرها ومن ضيق فمها ومنخرها ومنفذ اذنها
ومن تناسب اطرافها وقوامتها وطول شعرها وعنقها
ومن بياض سنها وذلك الاخير مما يستحسن في الاسنان
وتطلع اليه النفوس وتنبعث اليه الخواطر ولله در القائل
روحي الفداء الثغر راق مبسمه وزانه شنب ناهيك من شنب
يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد وعن اقاح وعن طلع وعن حبب
فشبه ثغرها باللؤلؤ الرطب لشدة بياضه ونقائه وذلك
حاصل في ايام الصغر لان الانسان كلما طعن في السن تغير
لون اسنانه عن البياض الى الصفرة او الخضرة من ترك تعهدها
بالسواك كما نص عليه العلماء وقد روى ان بعض السلف
راى امراته وهي تخلل اسنانها فطلقها فسالته عن ذلك
فقال ان كان شيء بقي من فضلة عشاك بين اسنانك فانت
قذرة وان كان من غداء استحييتك ليومك فانت شرهة
وكانت صالحة فقالت انما ذلك لفتانة من السواك تخللت

اسنانى

اسنانى فساءه ذلك وفى هذا دليل على شدة الاعتناء بالسواك
لازالة القذر تنبيه ثان ينبغى للمحب ان يصبر على كيد الحاسدين
والواشين فيما يقولونه فى محبوبه وابعاده عنه وصده لان هذا
ابتلى به كثير من المحبين فيمن يحبونه فقل ان يظفر الانسان
بمن يحبه الا حسد عليه وتطرق عيون الوشاة اليه فاستمالوه
عنه وصرفوا نظره عن رؤية محاسنه وان كان الصادق
فى المحبة لا يغيره على من يحبه اعراض ولا يصرف قلبه عن محبوبه
صدود وما دام الناس قديما وحديثا يذمون الوشاة ويحذرون
منهم ويقرنونهم بالذم بالعاذل والرقيب ولله در القائل
عندى لكم يوم التواصل اعوج ياه معشر الجلساء والندماء
اشوى قلوب الحاسدين بها وألسنة الوشاة واعين الرقباء
ولما وصل الى مطلوبه واستانس بمحبوبه انشأ يقول
متمثلا بقول ابى نواس

ومهفهف يسعى الى الندماء بعقيقة فى درة بيضاء
حركته بيدى وقلت له اشنبه يا فرحة اللحظاء والندماء
فاجابنى والسكر يخفض صوته بشلجلج كشلجلج الفاء
انى لافهم ما تقول وانما غلبت على سلافة الصهباء
دعنى افيق من الخمور الى غد واحكم بما ترضاه يا مولاى

واستغفر لما رانك وطالما كانت تحن الى لقاك وترغب

قوله واستغفرت الخ اى استصعبت وشردت واشمأزت
منك حين رانك هرما ذا شيب كبير السن دقيق العظم

وبخو ذلك مما تكرهه النفس وينفر منه الطبع غالبا فقد حكى
انه كان لابي مسلم الخولاني رضي الله عنه جارية حسناء وكانت
تسقيه السم لبغضها اياه وكان لا يعمل فيه فلما طال ذلك
قالت له الجارية الى كم اسقيك السم ولا يعمل فيك قال لماذا
قالت لانك صرت شيخا فاعتقها ثم قال اني كنت اقول عند
الاكل والشرب بسم الله الرحمن الرحيم وقوله تحن
الى لقائك وترغب اي تحن اليك وترغب فيك وانت في حالة
الصحة والشباب تنبيه جرت العادة غالبا ان المحبوب
يبغض المحب مطلقا سواء كان في حال القوة او الهرم وهذا
هو الداء العضال الذي يعسر علاجه ويشق برؤه ولاهل
المحبة فيه التحمل والصبر والمخالطة والخداع لعل المحبوب
يرق ويعطف كما قيل في المعنى

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه وان كنت مظلوما فقل انا ظالم
فانك ان لم تغفر الذنب في الهوى تفارق من تهوى وانفك راغم

تنبيه ثان قد يتغزل المحب بالمحبوب ويشتغل به حتى
يكتفي برؤيته وزيارة طيفه نوما عند عدم موافاته
له وليس تحته طائل ولله در القائل

وزارني طيف من اهوى على حذر من الوشاة وداعي الصبح قد هتفا
فكدت اوقظ من حولي بفرحتي وكاد يهتك ستر الحب بي شغفا
ثم انتبهت وآمالي تخيل لي نيل المنى فاستحالت غبطتي اسفا

لكن بعض المحبين يأنس بالخيال ويتسلى به كما قال البحتري

اذا ما الكرى اهدى اليّ خيالها شفى علة التبريح لو نفع الصدى
ولم ار مثلينا ولا مثل شأننا نغذب ايقاظا ونعم هجدا
بل بالغ التهامى حيث فضله على اليقظة فقال
وصل الخيال ووصل الخود ان تخلت سيان ما اشبه الوجدان بالعدم
الطيف احسن وصلا ان لذته تخلو عن الاثم والتنقيص والعدم
تنبيه ثالث قد يعيد المحبوب المحب ويمطله وقد اختلف المحبون
فى ذلك على مذاهب كما قال ابن سناء الملك مخاطب محبوبه على
عدم موافاته له
وانت الذى اخلفتنى ما وعدتنى واشمتّ بى من كان فيك يلومُ
وقد لابن نباتة فى مليح ساق واعده وماطله
سقى ووعدنى وصلا الذ به عند المنام فلا والله ما وصلا
فيا لها من مواعيد يقال لها كانت مواعيد عرقوب لها مثلا
وقوم يستعذبون المطل ويستحلون كواذب الامانى ويتسلون
به عن الوصل كما قال الشيخ شرف الدين ابن الفارض رحمه الله
عديني بوصل وامطلى بخازه فعندى اذا صح الهوى حسن المطل
وآخرون يرون ان الوعد والامانى سبب الحياة عند فوات
الوصل كما قال العفيف اسحاق
لولا مواعيدها ما كنت اعشرها لمت يا اهل الحمى فى زمنى
وكل ذلك باختلاف رتب المحبين فى القرب والبعد والقوة
والضعف تنبيه رابع اذا تحقق المحب هلاك نفسه ان لم
يقبل المحبوب هل يباح له تقبيله ام لا والجواب نعم بشروطه

كما قاله العلامة الحافظ ابن حجر حين سئل

ماذا يقول امام العصر في دنف ... اضحى قتيل الهوى من اسهم المقل
فهل يجوز له احياء مهجته ... من ثغر محبوبه بالرشف والقبل
وهل يجوز له يوما يعانقه ... ويشتفي القلب في قول وفي عمل
فهذه قصتي في شرحها عجب ... فاسمح برد جواب يا منى املي

فاجاب رحمه الله

ان صح دعواه في الالوف مهجته ... وان رشف اللمى يبري من العلل
فليرشفن رضاب الثغر محتسبا ... وليقطفن بفيه وردة الخجل
فذاك في ملة الاسلام ايسر من ... قتل امرئ مؤمن بالله في الازل

وقال غيره

ماذا تقول السادة اهل العلا ... في رجل بعشقه مبتلى
وكان قد اقى على نفسه ... لا يشرب الصهباء الا على
وردها غصان من نقا ميس ... وما عليه ان رخص او غلا
فالآن لا ورد ولا وقته ... ولا له صبر بان يمهلا
فافتوا الذي قد جا ياسيدي ... فانه قد جاء مستعجلا

فاجاب

ان كان عز الورد يا سيدي ... فكن لورد الخد مستقبلا
واشرب مع المحبوب في روضة ... وامزج من الخمر طوما ما قد حلا
هذا جوابي لك يا سائلا ... يا ذا الذي قد جاء مستعجلا

وقال آخر

ما قول لك يا فقيه ... فتوا تعجل بكلام

من زار

من بات معانقا لمن يهواه في جنح ظلام
هل يفطر عند ما يقبل فاه او صام تمام

فاجاب

يا سائل الفقيه عن فتواه الشرع فسيح
اصغ لكلامنا وخذ معناه فالقول صحيح
من بات معانقا لمن يهواه ان كان مليح
لا يفطر عند ما يقبل فاه والصوم صحيح

ثم اشار المؤلف الى ذكر الغانيات وقطع وصلهن ايضا فقال

وكذاك وصل الغانيات لانه كالبيلقعة وبرق خلب

قوله وكذاك وصل الغانيات الخ عطف على قوله صرمت حبالك ويصح ان تكون جملة استئنافية والغانيات جمع غانية حرة كانت او رقيقة وهي المراة اللطيفة الذات البديعة الصفات البارعة في اللطف والجمال الكاملة في الحسن والكمال وقوله لانه كالخ اى كسراب بالمد والتخفيف اى لان وصل الغانيات كسراب قال في الجلالين عند قوله تعالى كسراب بقيعة جمع قاع اى فلاة وهو شعاع يرى فيها نصف النهار في شدة الحر يشبه الماء الجاري وقوله ببيلقعة اى ارض قفراء وقوله وبرق خلب قال في القاموس والبرق الخلب وبرق الخلب وبرق خلب اللامع الخلف انتهى وفي المختار والبرق الخلب والسحاب الخلب الذي لا مطر فيه كانه خادع ومنه قيل لمن يعد ولا ينجز انما انت كبرق خلب ويقال ايضا برق خلب بالاضافة انتهى تنبيه كما تمنع المحبوب

اشتغل المحب شغفا حتى لا يدرى ما يقول وما يفعل مع
محبوبه وقد اشار الى ذلك القاضى عبد الوهاب المالكى بقوله

ونائمة قبلتها فتنبهت ... وقالت تعالوا فاطلبوا اللص بالحد
فقلت لها انى فديتك غاصب ... وما حكموا فى غاصب بسوى الرد
خذيها وكفى عن اثيم ظلامة ... فان انت لم ترضى فالفاعل العمد
فقالت قصاصا يشهد العقل انه ... على كبد الجانى الذى من الشهد
فباتت يمينى وهى عقد نحورها ... وباتت يسارى وهى واسطة العقد
فقالت الم اخبر بانك زاهد ... فقلت لها ما زلت زاهد فى الزهد

وقال غيره

فخذ من همت به شامة ... فالند فى نفحته ندها
والعنبر الرطب غداة ثلا ... لا تدعنى الا بيا عبدها

ومن كلام ابن رفاعة مكتفيا مقتبسا

خيال ظبى قد سرى ... لكهف قلبى المحتذى
ناديته لما سبا ... قلبى فسبحان الذى

وقال آخر

اذا زار من اهوى وانجز موعدى ... تلوت معيدا والذى جاء بالصدق
وان صد عنى معرضا فلشقوتى ... اقول وجات سكرة الموت بالحق

وقال القيروانى مضمنا للمثل السائر

مالك معاطفها سكرى على دنف ... كانها من رحيق الخمر قد سكرت
حيت فاحييت قتيل الحى حين دنت ... له وغابت فقال الصبر قد حضرت

وقال البساطى حكى ان ثلاثة من الشعراء اجتازوا بحائط

فوجدوا عليه بيت شعر مكتوبا وهو هذا البيت
الا ايها العشاق بالله خبروا اذا اشتد عشق بالفتى كيف يصنع
فقالوا لا نترك هذا البيت وحيدا بل نجيبه كل منا ببيت
فقال احدهم
يداري هواه ثم يكتم وجده ويصبر في كل الامور ويخضع
وقال الاخر
وكيف يداري والهوى قتل الفتى وفي كل وقت روحه تتقطع
وقال الاخر
اذا المرء لم يصبر على ما يصيبه فليس له عندي سوى الموت انفع
قال بعضهم مر الاصمعي فوجد شابا الا بنات له بعارضيه
ميتا وهو حاضن للحجر الذي مكتوب عليه هذه الابيات ووجد
تحتها مكتوبا هكذا
سمعنا اطعنا ثم متنا فبلغوا سلامي على من كان للوصل يمنع
سلامي على اهل النعيم نعيمها وللعاشق المسكين ما يتوجع
ثم اشار المؤلف الى ترك ما كان ملتبسا به حال صغره من التغزل
في حب زينب والغانيات حيث لم يصل الى مقصوده بقوله

دع الصبا فقد عراك زمانه واجهد فعمرك من فنائه الاطيب

قوله دع الصبا الخ اي اترك زمانه واستعد لما فاتك فيه من
الخيرات ولازمه على فعل الطاعات فانك غرض بين النفس والهوى
والشيطان كما ورد في الخبر وتاتي بافعال اولياء الله الصالحين
فقد قيل ان ابا بكر الكناني ختم اثنا عشر الف ختمة في الطواف

وقيل لما حبس منصور الحلاج وقيد من كعبه الى ركبتيه ثلاثة
عشر قيدا كان يصلي مع ذلك في كل يوم وليلة الف ركعة وقيل
كان ابن عطاء سنين كثيرة يختم في كل يوم ختمة وفي شهر
رمضان كل يوم وليلة ثلاث ختمات وقيل اقام ابو عمر الزجاج
بمكة اربعين سنة لم يبل ولم يتغوط في الحرم وكان يخرج
في كل يوم للعمرة خارج الحرم فيتطهر ويعتمر كل يوم ثلاث
عمرات وكان ياكل في كل ثلاثة ايام اكلة واحدة ومات عن نيف
وسبعين وقفا وقيل صلى حبشي ابن داود صلاة الغداة اربعين
سنة على طهر العشاء فينبغي لمن ضيع صالحا وقته التاسي
فمن كلام البلغاء المؤمن على دينه فتاش والهوى مطية الفتنة
وينبغي له ان يلازم على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقد قال عليه الصلاة والسلام من اقتدى بي فهو مني
ومن رغب عن سنتي فليس مني وقال عليه الصلاة والسلام
ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة اذا تمسك بها وعن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال التمسك بسنتي عند فساد
امتي له اجر مائة شهيد وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من احيى سنتي فقد احياني ومن احياني كان معي وقال النبي
صلى الله عليه وسلم من اطاعني فقد اطاع الله ومن احبني فقد
احب الله وقال النبي صلى الله عليه وسلم كل عمل لا يعمل
بسنتي فهو معصية عند الله فعليك ايها الواقف على هذه
القصيدة تحقيق هذه الاحاديث من صحة وضعف فاني وجدتها

فتأمل

فى كتاب مقطوع النسبة عن صاحبه انتهى وقد قال المؤلف رحمه الله تعالى

ذهب الشباب فما له من عودة ... واتى المشيب فاين منه المهرب

قوله ذهب الشباب الخ اى مضى وفاته واستحال عوده واتى المشيب و ابيضاض الشعر وانتشاره فى الجسد كانتشار شعاع النار فى الحطب وكفى به واعظا لما قيل انه رسول الموت وقال الشعر انى اعلموا ايها الاخوان فما بعد المشيب من عذر وقال القاضى الناصر فى المعنى معتذرا

اما المشيب فانه قد بر قا ... وكانني بسحابه قد اغدقا

كان الهوى خل الصبا وصديقه ... حتى تلا شيبه وان يتفرقا

قال بعضهم يكره نتف الشيب لانه نور الاسلام ولانه يخلف بدله حالا وقد انشد بعضهم بقوله

وزائرة للشيب لاحت بمفرقي ... فبادرتها بالنتف خوفا من الحتف

فقالت على ضعفى استطلت وانما ... رويدك حتى يلحق الجيش من خلفي

وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مسلم يشيب شيبة فى الاسلام الا كتب الله له بها حسنة وحط عنه بها خطيئة وفى رواية لابى داود ما من مسلم يشيب شيبة الا كان له نورا يوم القيمة فيكره نتف الشيب لذلك ولانه وقار لما رواه مالك ان اول من راى الشيب ابراهيم فقال يا رب ما هذا قال وقار قال زدنى وقارا انتهى والله اعلم وقد اوردنا ما فيه مطمع فى الشرح الوسط والكبير فمن اراد

المراجعة فعليه بذلك قال المؤلف

ضيف الم اليك لم تبهج به فترى له اسفا ودمعا يسكب

قوله ضيف الخ اى شيب حل عندك ان لم تعتبره وتكرمه بالطاعة والا ترى له اسفا ودمعا يسكب لفراقه وعدم اعتنائك به تنبيه نزل المؤلف الشيب منزلة الضيف لقصر اقامة مدته وكانه يقول ينبغى لمن نزل عنده ضيف ان يعتنى باكرامه كما هو معلوم عادة عند غالب الناس اذا علمت هذا ينبغى لك اذا نزل عندك الشيب ان تتعظ به ولا تتكل على صالح عملك بل على محض فضل الله تعالى فقد حكى عن بر صيصا العابد انه كان له ستون الفا من التلامذة وكانوا يمشون فى الهواء ببركته وعبد الله تعالى حتى تعجبت الملائكة من عبادته ثم مات كافرا ولم ينفعه عمله وحكى عن احد الاخوين الذى عبد الله اربعين سنة ثم نزل من اعلى الدار الى اسفلها على نية المعصية وله اخ مسرف عقد التوبة وطلع يوافق اخاه على عبادة الله وعلى نية الطاعة ونزل اخوه على نية المعصية فزلت رجله فسقط على اخيه فوقعا ميتين فحشر العابد على نية المعصية وحشر العاصى على نية التوبة والطاعة فينبغى للعبد ان يحسن نيته فقد حكى عن ابليس انه عبد الله كثيرا فى السموات والارض ولم تنفعه طاعته كما هو معلوم وحكى عن تميم بن اكثم انه رؤى فى المنام بعد موته فقيل له ما فعل الله بك فقال اوقفنى بين يديه وقال يا شيخ السوء فعلت كذا وفعلت كذا فقلت يا رب

عما يعفوا

ما بهذا حدثت عنك قال فبماذا حدثت عني يا يحيى فقالت
حدثني معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة عن النبي
صلى الله عليه وسلم عن جبريل عنك سبحانك وتعاليت
انك قلت انى لأستحي ان اعذب شيبة شابت في الاسلام
فقال صدقت وصدق معمر وصدق الزهري وصدق عروة
وصدقت عائشة وصدق محمد وصدق جبريل وقد غفرت لك
انتهى فعلم من هذا انه لم ينفعه كامل عمله بل بعضه بمحض
فضله سبحانه وتعالى ثم اشار المؤلف بالتأويح الى الامر بالنصح

فقال

دع عنك ما قد فات في زمن الصبا واذكر ذنوبك وابكها يا مذنب

قوله دع عنك الخ اى اترك ما كنت متلبسا به حال صبالك بكسر
الصاد وهو صغرك من اللهو واللعب والهوى ونحو ذلك
مما لا طائل تحته فمن كلام البلغاء من علم انه يموت فلا يندم
على ما يفوت ومن كلام مهد من علم انه يموت فليحسن ولا يسيء

شعر

اسأت الى فاستوحشت مني ولو احسنت آنسك الجميل
ستحمدني اذا جربت غيري وتعلم انني نعم الخليل

وقوله واذكر ذنوبا ايها الشخص وابكها اى ابك على ما فرطت
في ذلك من ارتكاب الصغائر والكبائر ونحوها تأسيه
ينبغي للانسان ان يتنبه من غفلته وان يسأل الله غفران
حوبته وان يندم على ما مضى كما وقع ذلك للامام الزمخشري
معتذرا بقوله

يا من يرى مد البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الاليل

ويرى نياط عروقها فى نحرها والمخ فى تلك العظام النحل
ويرى خرير الدم فى اعضائها منتقلا من مفصل فى مفصل
ويرى ويعلم ما يراه دونها فى قاع بحر عامق متجدل
ويرى سرائر ذرة مع نملة وضعيفها وقويها والمبتلى
انى سالتك بالنبى محمد وبما تلاه من الكتاب المنزل
امنن علىّ بتوبة تحيى بها ما كان منى فى الزمان الاول

تنبيه يجب على الشخص ان يتوب من ذنوبه فورا لئلا تحتزمه المنية بغتة كما قال بعضهم فى المعنى

بادر الى التوبة الخاصة مجتهدا فالموت ويحك يمدد اليك يدا
فانما المرء فى الدنيا على خطر ان لم يكن ميتا فى اليوم مات غدا

ثم اعلم ان التوبة تغفر سائر الذنوب اذا انضم اليها رد المظالم ونحوها قال تعالى واذ جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم وقال تعالى الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا اى رجع الى الله رجوعا فيجازيه خيرا تنبيه قد لا يوقف غفران بعض الذنوب على توبة فقد ورد فى الحديث من استفتح اول نهاره بخير وختمه بخير قال الله للملائكته يعنى الحافظين الموكلين به لا تكتبوا عليه ما بين ذلك من الذنوب يعنى الصغائر كما يقاس النظائر ويحتمل التعميم وفضل الله عظيم

قال المؤلف رحمه الله تعالى

واخشى مناقشة الحساب لانه لابد منه عما جنيته ويكتب

قوله واخشى مناقشة الحساب اى حساب ما جنيته فى عمرك من قليل وكثير من الاقوال والافعال فى يوم عظيم يشيب من هوله نواصى الاطفال وفى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم انه قال حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وقال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغداى يوم القيمة وقال الشعرانى رحمه الله تعالى كان ابن مسعود يقول تزدحم الاقدام يوم القيمة كازدحام الشباب فى الجمعة والسعيد من يجد لقدمه موضعا يوم القيمة يضعه عليه واعلم انه يشتد الجزع عند الوقوف وعند اخراج بعث النار لانه تخرج من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون فذلك يوم يجعل الولدان شيبا وذلك يوم يكشف عن ساق ويشتد الخوف اذا دعى الخلائق الى الميزان وتكاد عقولهم تطير من الخوف وتتزاحم الخلائق بعضها على بعض حتى يكون على القدم الف قدم وتخوض الناس فى العرق وفى الحديث لو ارسلت السفن فى عرق الخلائق فى ذلك اليوم لجرت وغير ذلك من الاهوال العظيمة فينبغى للانسان تتيقظ من سنة الغفلات خصوصا من اقتباس التبعات وتراقب التوبة فيما مضى وما هو آت فقد كان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول لان يلقى العبد ربه بسبعين ذنبا اهون عليه من ان يلقى الله بذنب واحد

فيما بينه وبين الناس يعني التبعات وكان احمد بن حرب التابعي
الجليل يقول تبعث الناس يوم القيمة على ثلاث فرق فرقة
اغنياء بالاعمال الصالحة وفرقة فقراء من الاعمال الصالحة
وفرقة اغنياء ثم يصيرون مفلسين من جهة تبعات الخلائق
انتهى وقد ارخينا العنان فيما يتعلق بهذا في الشرح الوسط
ثم قال المؤلف رحمه الله

والليل فاعلم والنهار كلاهما انفاسنا بهما تعد وتحسب

قوله والليل فاعلم الخ اى اعلم ايها الواقف على هذا ان انفاسنا
معشر بني ادم تحسب علينا ليلا ونهارا ولحد ابعد واحدا مما اندرج
بذلك ومثل ذلك الجن لان الانس والجن محل الجزاء دون
الملائكة والحيوانات والطيور والانفاس كثيرة
فقد قال ابن حجرات جملة الانفاس في اليوم والليلة اربعة
وعشرون الفا وكل منها يقتضي شكرين مستقلين اذ لو لم
يخرج النفس من صاحبه لهلك ولو لم يدخل لهلك فاتق الله
في ذلك والله اعلم وقول المؤلف انفاسنا مثله افعالنا ايضا
بل هي اولى بالعد علينا موعظة قال الشعراني بلغنا ان شخصا
تاجرا وقف عليه امراة تشتري لها ازارا فكلمته فحركت
بشرته عليها فراى في منامه ان القيمة قد قامت وسالته
عن ذلك فانبه فسقط لحم وجهه من الحياء قال المؤلف

لم ينسه الملكان حين نسيته بل اثبتاه وانت لاه تلعب

قوله لم ينسه الملكان اى لم ينسيا ما جنيته وما انتسته

من الانفاس التي تنفستها في الليل والنهار حين نسيتها ولم تتذكرها
بل كتبا ها عليك وهما ملك اليمين وملك اليسار لكنهما معظم
الاعمال وانت لاه تلعب لم يتركا لك منها واحدا قال تعالى
ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد قال الجلال المحلي رقيب
حافظ عتيد حاضر وكل منهما بمعنى المثنى انتهى وقال
تعالى وان عليكم لحافظين من الملائكة لا عمالكم كراما على الله
كاتبين لها يعلمون ما تفعلون جميعه انتهى محلي وقال تعالى
عن اليمين وعن الشمال قعيد قال الحسن ومجاهد وقتادة
هما ملكان احدهما عن اليمين يكتب الحسنات والاخر عن
الشمال يكتب السيأت وقال مجاهد ايضا ملكان بالليل
وملكان بالنهار وعن ابي امامة قال النبي صلى الله عليه
وسلم كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيأت
على يساره وقال الحسن والضحاك مجلسهما تحت الشفتين
على الذنك وكان الحسن يعجبه ان ينظف عنفقته وقعيد
اي ملازم ثابت وليس المراد به ضد القائم وظاهره انهما
لا يفارقانه وذكر الحسن انهما يفارقانه في حال قضاء حاجته
وفي حال جماعه وورد في حديث معاذ بن جبل ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله لطف الملكين الحافظين
حتى اجلسهما على الناجذين وجعل لسانه قلمهما وريقه
مدادهما وملك الحسنات من ناحية اليمين امين او امين على كاتب
السيات من ناحية اليسار فان عمل شيئا كان احدهما امامه والاخر

وراءه وان قعد كان احدهما على يمينه والاخر عن يساره وان
رقد كان احدهما عند راسه والاخر عند رجليه
كما روى عن مجاهد لا يتغيران ما دام حيا تنبيه تقدم ان
الكاتب لمعظم الاعمال ملك اليمين وملك اليسار وقد
يكتب بعض الاعمال غيرهما فقد قال النووي في حديث بناء
السبعين ملكا لكتب قول رفاعة ابن رافع الحمد لله حمدا
طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى دليل على ان بعض
الاعمال قد يكتبها غير الحفظة انتهى وفي حديث رواه
البخاري عن رفاعة ابن رافع رضي الله عنه قال كنا وراء
النبي صلى الله عليه وسلم فلما رفع راسه من الركوع قال
رجل ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فلما
انصرف قال من المتكلم قال انا قال رايت بضعا وثلاثين
ملكا يبتدرونها ايهم يكتبها اول قال بعض العلماء
السر في هذا العدد ان حروف هذه الكلمات بضعا وثلاثين
حرفا فكان كل ملك بازاء حرف منها تنبيه ثان تتردد
بعضهم فيما نهل لكل يوم وليلة ملكان اوهما ملازمان
العبد الى يوم القيمة ثم قال والظاهر ان ملكي الانسان
لا يتغيران عليه ما دام حيا ويوضحه قول احد الملكين
للاخر اذا لم يستغفر اخل ست ساعات بعد عمل السيئة
اكتب راحنا الله منه فبئس القرين ما اقل مراقبته لله عز وجل
واقل استحياءه ولا يقال ذلك لمن يكونان معه يوما واحدا

او بعضه

او بعض يوم لان ذلك خلاف لسان العرب فقد قال ابن السكيت
القرين الصاحب وقوله اراحنا الله منه يقوى ذلك اذ مصاحبة
يوم او بعضه لا تطلب منها الا راحة غالبا انتهى من التحفة السنية
تنبيه ثالث يبقى النظر في اسم الكاتبين هل هما رقيب وعتيد
وجواب ذلك ان ابا نعيم اخرج في الحلية عن مجاهد ان اسم
كاتب السيئات قعيد ويوافقه قول عطاء ابن ابي رباح
الذي اخرجه ابن ابي شيبة اذكروا ان عليكم حافظين كراما
كاتبين وان احدهما عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من
قول الا لديه رقيب عتيد والروايتان متفقتان على ان كاتب
السيئات اسمه قعيد واما كاتب الحسنات فلم ار من صرح باسمه
انتهى ابن حجر في فتاويه وقال الرملي في الفتاوى ولم اقف على
تسمية الكاتبين انتهى وقد علمت ما ذكرناه تنبيه رابع
فان قلت اذا مات الانسان فاين يذهبان اجيب بانهما يقومان
على قبره ففي الحبائك للسيوطي اخرج الدارقطني في الافراد
عن ابي سعيد الخدري قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول اذا قبض الله روح العبد صعد ملكاه الى السماء فقالا
يا ربنا وكلتنا بعبدك المؤمن نكتب عمله وقد قبضته اليك
فائذن لنا ان نسكن السماء فيقول سمائي مملوءة من ملائكتي
يسبحوني فيقولان ائذن لنا ان نسكن الارض فيقول ارضي
مملوءة من خلقي يسبحوني ولكن قوما على قبره فسبحاني
واحمداني وهللاني واكتباه لعبدي الى يوم القيمة ثم قال

فاذا كان العبد كافرا فمات صعد ملكاه الى السماء فيقول
الله تعالى لهما ما جا بكما فيقولان ربنا قبضت عبدك وجئنا
فيقول لهما ارجعا الى قبره والعناه الى يوم القيمة فانه كذبني
وتحدني وانى جعلت لعنتكما عذابا اعذبه به يوم القيمة
انتهى ثم قال المؤلف

والروح فيك وديعة اودعتها سترد ها بالرغم منك وتسلب

قوله والروح فيك اى حالة فيك ايها الشخص وهى جسم لطيف
مشتبك فى الاجسام الكثيفة كاشتباك الماء بالعود
الاخضر نص على ذلك امام الحرمين وقال الجنيد هى شئ
استاثر الله بعلمه ولم يطلع عليه احدا من خلقه فلا يجوز
للعباد البحث عنه باكثر من انه موجود وقوله وديعة
اى امانة اودعها الله فيك سترد ها بالرغم منك وتسلب
اى باخذ الله لها منك او ملائكته وكذا يقال ذلك فى اخذ
الله المال والاهل كما فى قول الشاعر

وما المال والاهلون الا ودائع ولا بد يوما ان ترد الودائع
فلا خصوصية للروح ثم اشار المؤلف الى التحذير من
الركون الى الدنيا والانهماك عليها فقال

وغرور دنياك التى تسعى لها دار حقيقتها نزول وتذهب

قوله وغرور دنياك ايها الواقف على هذه المقدمة باطل
قال تعالى وما الحياة الدنيا اى العيش فيها الا متاع الغرور
اى باطل يتمتع به قليلا ثم يفنى وقوله حقيقتها نزول

اى

اى

اى لا يبقى لها اثر وتذهب عطف تفسير ومن كلام البلغاء
حب الدنيا راس كل فتنة الدنيا دار بلاء الدنيا دار المحنة
انتهى ومن كلام بعضهم فى ذم الدنيا
سالت عن الدنيا الدنية قيل لى هى الدار فيها الدائرات تدور
اذا ضحكت ابكت وان احسنت اساءت وان عدلت يوما فسوف تجور
ومن كلام بعضهم ايضا

انى بليت باربع يرمينني بالنبل عن قوس لها توتير
ابليس والدنيا ونفسى والهوى يا رب انت على الخلاص قدير

وقال بعضهم

انى بليت باربع يرمينني بالنبل قد نصبوا الى شراكا
ابليس والدنيا ونفسى والهوى من اين ارجو بينهن فكاكا

تنبيه من ركن الى الدنيا وزخارفها وسها عن الاعمال فى ليله
ونهاره كان مغرورا والتحق بالبهائم كما قال عمر بن
عبد العزيز فى هذه الابيات

نهارك يا مغرور سهو وغفلة وليلك نوم لا وشئ لازم
تسر بما يفنى وتفرح بالمنى كساس بالذات فى النوم حالم
وشغلك فيما سوف تكره غبه كذلك فى الدنيا تعيش البهائم

وقال بعض الحكماء

انظر الى الدنيا نظر الزاهد المتفكر ولا تتامل لها تامل العاشق الواثق
وانشد فى المعنى

الا انما الدنيا كاحلام نائم وما خير عيش لا يكون بدائم

تامل اذا ما نلت بالامس لذة فافيتها هل انت الا كالحلم
فمن غافل عنه وليس بغافل ومن نائم عنه وليس بنائم

وقال الشافعي في ذم الدنيا

ومن يذق الدنيا فانى طعمتها وسيق الينا عذبها وعذابها
فلم ارها الا غرورا وباطلا كما لاح في ظهر الفلاة سرابها
وما هي الا جيفة مستحيلة عليها كلاب همهن اجتذابها
فان تجتنبها كنت سلما لاهلها وان تجتذبها نازعتك كلابها
فدع عنك فضلات الامور فانها حرام على نفس التقي ارتكابها

ثم قال المؤلف رحمه الله تعالى

وجميع ما حصلته وجمعته حقا يقينا بعد موتك يذهب

قوله وجميع ما حصلته الى اخره اى جميع ما اكتسبته مطلقا من حل وحرام وجمعته عطف تفسير وقوله يقينا اى من غير شك ولا ظن وقوله ينهب اى ينهبه الوارث او غيره وعهدته عليك كما قال يحيى بن معاذ مصيبتنا هذه لم يسمع الاولون والاخرون بمثلها مال الانسان عند موته يؤخذ كله ويسئل عنه كله تنبيه اذا علمت ان الدنيا تزول وان جميع ما حصلته منها ينهب ينبغي لك ان لا تعلق آمالك بها ولا تتاسف على شيء فاتك منها وان تغتنم سلامة دينك فقد قال بعضهم

اذا ابقت الدنيا على المرء دينه فما فاته منها فليس بضائر
فما تعدل الدنيا جناح بعوضة ولا وزن رأس من جناح الطائر

فمارضي الدنيا ثوابا المحسن ومارضي الدنيا عقابا الكافر
فائدة اعلم ان اشرف ما في الدنيا على ستة اقسام الاول مطعوم
واشرفه العسل وهو مذقة ذبابة الثاني مشروب واشرفه
الماء ويستوي فيه البر والفاجر الثالث ملبوس واشرفه
الحرير وهو نسج دودة الرابع مركوب واشرفه الفرس وعليه
تقاتل الرجال وتقتل الخامس منكح واشرفه المراة وهو مبال
في مبال السادس شموم واشرفه المسك وهو دم حيوان
اذا علمت ان اشرف ما فيها يوجد من محقراتها فلا تغتر بها
لخستها ثم قال المؤلف رحمه الله تعالى

تبا لدار لا يدوم نعيمها ومشيدها عما قليل يخرب

قوله تبا لدار لا يدوم نعيمها اي خسرت وهلكت ونعيمها
كما تقدم ذكره في البيت قبله وقوله ومشيدها اي
بناؤها العالي المحكم المشيد بالجص والبلاط وقوله عما
قليل يخرب اي لقصر مدتها بالنسبة للاخرة فلا تعلق
آمالك بها ولا تغتر بقول القائل

تبت يد الايام ما قصرت كم من عزيز النفس قد حسرت
كم من خسيس النفس رامته كانها عميا ما ابصرت

وقد احسن ابو تمام مقاله في انقضاء الايام الهنية والرئية
بقوله حيث قال

اعوام وصل كان ينسى طيها ذكر النوى فكانها ايام
ثم انبرت ايام هجر اعقبت نحوي اسى فكانها اعوام

ثم انقضت تلك السنون واهلها فكانها وكانهم احلام
ففوله دامت له اى بالنسبة لطول سكنها فى يده عادة
واقبال الناس عليه وتحيتهم له وسماع كلامه وان كان
خلاف الصواب كما سياتى فى قوله ويفوز بالمال الحقير
مكانة الخ ثم قال المؤلف

فاسمع هديت نصائحا اولاكها حبر لبيب عاقل متأدب

قوله فاسمع هديت اى هداك الله تعالى ودلك عليها ارشدك اليه
من النصائح جمع نصيحة وسياتى الكلام عليها ان شاء الله
تعالى وقوله اولاكها اى اولاك من التولية عليها واعطاها
لك كالمحسوسة وقوله حبر اى عالم او صالح لبيب اى عاقل
كما فى القاموس وعاقل فى قوله عطف تفسير وقوله متأدب
اى كثير الادب وهو اشرف ما يكتسبه الشخص لقلة وجوده
الآن وقد مدح النبى الادب بقوله عليه الصلاة والسلام
ادبنى ربى فاحسن تاديبى ثم قال المؤلف رحمه الله

ذهب الزمان حقيقة تبقى والى الامور سبائب وتعقب

قوله ذهب الزمان حقيقة اى قل خيرا هله وكثر شرهم وارتفع
اسافلهم على اعاليهم وقوله تبقى بالموحدة والتاء المثناة
فوق وموحدة بعدها وصاد مهملة اى بعلم وامعان نظر
وقوله والى الامور اى فى انقضائه وقوله سبائب وتعقب
بمثناة فوقية وعين مهملة وقاف وموحدة اخرى اى تقدم
وتاخر لاهله قال بعضهم ملوحا لقلة خير اهل هذا الزمان

بقوله في المعنى

ذهب الذين اذا رأوني مقبلا ستروا وقوا لوا مرحبا بالمقبل
وبقي الذين اذا رأوني مقبلا ستبواوقوا لوا ليته لم يقبل

وقال اخر

وما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت تعرف
وما كل من تهوى يحبك قلبه ولا كل من صاحبته لك منصف

ومن كلام تقي الدين رحمه الله

اشكو الى الله جور دهر سطت على الخطوب فيه
لم الف من اهله لبيبا يهذب النفس اصطفيه
فعلم من كلام المصنف ضمنا ومن هذه الابيات صريحا قلة خير
اهل هذا الزمان وكان من محاسن الشريعة ان يحب الشخص
لغيره ما يحب لنفسه من الخير كما ورد بذلك الحديث انتهى
ثم قال المؤلف رحمه الله

اهدى النصيحة فالتقط بمقاله فهو التقي اللوذعي الاديب

قوله اهدى النصيحة قال الخطابي النصيحة كلمة جامعة معناها
حيازة الحظ للمنصوح له وقيل ماخوذة من نصح الرجل ثوبه
اذا خاطه وقيل ماخوذة من نصحت العسل اذا صفيته من
الشمع انتهى وقوله فالتقط بمقاله اى عما دل عليه فقد ورد
عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الدين النصيحة وقوله اللوذعي
بالذال المعجمة والعين المهملة والاديب بالدال والراء المهملتين
اى القوي الشديد على الامور لانه عنده علم ودراية بذلك

لان شرط الناصح ان يعلم عين ما ينصح به انتهى موعظة
حكى ان رجلا قال لبعض العلماء اوصنى قال ازهد فى الدنيا
ولا تنازع فيها وانصح لله تعالى كنصح الكلب لاهله فانهم
يجيعونه ويضربونه ويأبى الا ان يحوطهم نصحا فينبغى لك ان
تتخلق باخلاقه ثم قال المؤلف

لانا من الدهر الخؤون لانه ما زال قدما للرجال يهذب

قوله لانا من الدهر الخؤون اى الزمانة ونسبة الخيانة اليه نسبة
مجازية وقوله قدما بكسر اوله وسكون ثانيه اى قديما
وقوله للرجال اى البالغين الكاملين وغيرهم وقوله يهذب
اى يلين انفسهم بخفض ورفع ونحو ذلك قال عبد الرحيم
ابن احمد بن محمد بن ابراهيم بن الاخوة رحمه الله
الدهر كالميزان يرفع ناقصا جهلا ويخفض زائد المقدار
واذا انتهى لانصاف عادل عدله فى الوزن بين حديدة ونضار
ثم قال المؤلف رحمه الله

وكذلك الايام فى غدراتها مرت يذل لها العزيز الانجب

هذا البيت معطوف على ما قبله اى لانا من الايام فى غدراتها
بفتح الغين المعجمة والدال والراء المهملتين والمثناة الفوقية
اى الغدرات الواقعة فيها التى ذل منها العز الانجب اى القوى
الكريم قال فى المختار الاعز بمعنى العزيز ورجل نجيب
كريم تنبيه لا تغتر بالايام وان اعطتك ثروة او جاها لانها
سبب معه الكدر وقال الشاعر فى المعنى

ومن عادة الايام ان خطوبها اذا سرمنها جانب سا جانب
وما اعرف الايام الا ذميمة ولا الدهر الا وهو للشا رط طالب
ثمرة لـــــــــــ المؤلف

والفقر شين في الرجال لانه يزري به الشهم الرفيع الانسب

قوله الفقر شين في الرجال اى وفى غيرهم من النساء وهو مصيبة
عظيمة لمن لم يصبر عليه لما ورد في الحديث كاد الفقر
ان يكون كفرا وقال بعض العلماء رحمهم الله
ولم ار بعد الدين خيرا من الغنى ولم ار بعد الكفر شرا من الفقر
وقوله لانه يزري بضم الياء المثناة تحت وسكون الزاى وفتح
الراء المهملة وقوله الشهم بالشين المعجمة وقوله الرفيع
الانسب واحد الانساب ونسبت الرجل ذكرت نسبه اى
من له شرف في آبائه يقال رجل شريف ماجد اذا كان له اباء
متقدمون في الشرف والحسب والكرم فيكون ذلك في الرجل
وان لم يكن له شرف والمعنى ان الفقر يزري بعالى النسب
خصوصا في زماننا هذا فينبغي للاغنياء الذين لم يذوقوا طعم
الفقر التلطف بالفقراء والتعطف عليهم لما ورد في الحديث
ارحموا عزيز قوم ذل ارحموا غنيا افتقر ارحموا عالما ضاع
بين الجهال ومن كلام الشافعي رضي الله عنه

لم يذل طعم الفقر من هو في الغنى ومصح الاعضاء ليس كمن بلى
كم فاقة مستورة بمروءة وضرورة قد غطيت بتجمل
وكم ابتسام تحته قلب شجى قد غالطته كربة لا تنجلي

٢ يظهر في ذلك وعبارته في الاوسط قوله الانسب
اى الكامل في الذي وغيره في الجزء الثالث من ونسب اليه

والناس جمعا عند كل كفوء والهند مفترق ولا احد حلى
لو سود الهند الملابس لم ترى بيض الثياب على امرئ في محفل
قال المؤلف رحمه الله

ويفوز بالمال الحقير مكانة فتراه يرجى ماله ويرغب
ويسر بالترحيب عند قدومه ويقاد عند سلامه ويقرب

اشار المؤلف في هذين البيتين الى ان الشخص الخسيس يحصل
له بوجود المال رفعة عالية عند الناس بقيامهم له وتعظيمه
واستماع كلامه والعمل برعايته له كما هو مشاهد في زماننا
هذا وقد قال ابو القاسم البستي في المعنى مشيرا للحرص على تحصيل المال
المال افضل ما ادخرت فلا تكن في مربة ما عشت في تفضيله
ما صنف الناس العلوم باسرها الا لحيلتهم على تحصيله
ثم قال المؤلف رحمه الله

فاقنع ففي بعض القناعة راحة واليأس عما فات فهو المطلب

قوله فاقنع اشار المؤلف الى القناعة وهي الرضا بما قسم الله
واقنعه الشيء اذا ارضاه والقناعة محمودة بدليل الطمع مذموم
قال صاحب كتاب انس المنقطعين رحمه الله

اذا المرء عوفي في جسمه وملكه الله قانعا قنوعا
والقى المطامع عن نفسه فذاك الغنى ولو مات جوعا

وقال غيره وهو منقول عن الشافعي

وجدت القناعة رأس الغنى فصرت باذيالها ممتسك
فلا ذا يراني على بابه ولا ذا يراني به منهمك

فاورثني

فاورثني عزها خلعة يمر الزمان ولا تهتك
وصرت غنيا بلا درهم اعز على الناس شبه الملك

فينبغي لك ايها الناسي بقول هولاء العلماء والاقتصار على الموجود وان قل فان طلب الزيادة مكروه كما قال بعضهم في المعنى

كرة نعاد بيسير انت واجده واصبر ولا تتعرض للارادات
فما صفا البحر الا وهو منتقص وما تكدر الا بالزيادات

تنبيه القانع هو الذي يقنع بما يعطى ولا يسال ولا يتعرض لذلك ثم قال المؤلف

واذا طمعت كسيت ثوب مذلة فلقد كسى ثوب المذلة اشعب

قوله واذا طمعت اى طلبت الزائد كسيت ثوب مذلة اى ذل وهوان فتركه سعادة قال في الحديث سعادة المرء في قلة طمعه وقال الشافعي في المعنى

امت مطامعي فاريحت نفسي فان النفس ما طمعت تهون
واحييت القنوع وكان ميتا ففي احيائه عرضي مصون
اذا طمع تحل بقلب عبد علته مهانة وعلاه هون

وقوله فلقد كسى ثوب المذلة اشعب اى لبس ثوب الذل والهوان لكثرة طمعه لانه قيل انه كان اطمع اهل الارض فضرب به المثل ثم قال المؤلف

لا تحرصن فالحرص ليس بفاخر فالحرص شقي للرجال ومتعب

قوله لا تحرصن اى على الدنيا كما في المصباح فالحرص ليس بفاخر اى فالحرص على ما زاد على قدر الحاجة ليس فيه فخر

وقوله فاحرص مشتق للرجال ومتعب اى فاكتسابه فيه مشقة
على الرجال وكذا غيرهم ثم قال المؤلف

كم عاجز فى الناس يأتى رزقه رغدا ويحرم كيس وتحيب

قوله كم عاجز فى الناس اى وغيرهم عجزا حقيقيا
او لا قدرة له على المكسب يأتى اليه رزقه من حيث لا يحتسب
رغدا كثيرا ويحرم كيس اى قوى ذو فطنة وتحيب اى فلا
تحصل مقصوده وان طاف البلاد وسال العباد كما حكى
عن موسى عليه الصلاة والسلام انه ناجى ربه فقال يا رب
لم رزقت الاحمق وحرمت العاقل فقال الله تعالى ليعلم العاقل
ان الرزق ليس باحتيال شعر

اعجب من ربى ومنى حكيم قد احرم العاقل فضل النعيم
ما ظلم البارى ولكنه اراد ان يظهر عجز الحكيم

وقال بعضهم رحمه الله

كم من اديب فهم قابه مستكمل العقل مقل عديم
وكم جهول مكثر ماله ذلك تقدير العزيز العليم

ثم قال المؤلف رحمه الله

فعليك بتقوى الله فالزمها تفز ان التقى هو البهى الاهيب

قوله فعليك بتقوى الله اشار الى ان التقوى راس الامور قال
الله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم وقال تعالى يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله وقال عز من قائل ان اكرمكم عند الله اتقيكم
والمراد بها اتيانك بالواجبات من نحو طهارة وصوم وصلاة

فتكاه

وزكاة وحج وامر بمعروف ونهى عن منكر وحب رياسة بغير
حق اما اذا كانت بحق فلا باس بها قال البسطامى ومن
امارات القيمة ان يكون العصر خاليا من سياسة الحقلاء او
رياسة الفضلاء شعر فى ذلك

رياسات الرجال بغير علم ولا تقوى الا له هى الخساسة
وكل رياسة من غير علم اذل من الجلوس على الكناسة
واشرف منزل واعز عز وخير رياسة ترك الرياسة

وقوله فالزمها تفز اى تنل غاية مطلوبات اذ المتقى وهو الملازم
على فعل الواجبات وترك المنهيات امتثالا لله تعالى هو الحى
الاهيبا اى الموقر المحترم تنبيه ينبغى للانسان ان يتخلق بما
يامر به غيره والاكان مقصرا فمن كلام ابى العتاهية

اراك امرأ ترجو من الله عفوه وانت على ما لا يحب مقيم
تدل على التقوى وانت مقصر فيا من يداوى الناس وهو سقيم

ومما يدل على ان التقوى افضل الاكتساب قول القائل

يريد المرء ان يعطى مناه ويابى الله الا ما اراد
يقول المرء فائدتى ومالى وتقوى الله افضل ما استفادا

ومن كلام الشيخ محيى الحنفى رحمه الله

ايها الغارق فى لذته دعك تفعل كل قبح وحسن
كل هذا عن قريب ينقضى ثم تستيقظ من هذا الوسن
ثم تدرى ان ما كنت به من غرور محض سوء ومحن
لا كتقوى الله شئ فاعلمن ان من يعرض عنها ممتهن

تنبيه الرياء في الامر بالتقوى وغيرها هو الشرك الاصغر فيجب
اجتنابه لانه قد شهد بتحريمه الكتاب والسنة وانعقد عليه
اجماع الامة وهو ماخوذ من الرؤية وسياتي الكلام عليه
في البيت الذي يليه وهو قول المؤلف رحمه الله

واعمل لطاعته تنل منه الرضا ان المطيع لربه لمقرب

قوله واعمل لطاعته اي ايها الشخص لطاعة الله تعالى
من ايمان بالايمان والصلاة وسائر الطاعات قال الله تعالى
وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون
وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون
فيجازيكم به وقوله تنل اي تنل غاية مطلوبك وهو الرضا منه
سبحانه وتعالى بغفران السيات ورفع الدرجات جزاء لك
قال تعالى جزاء بما كانوا يعملون اي من الايمان والصلاة
وسائر الطاعات فسمى عملا حيث ادخله في جملة الاعمال
وسئل النبي صلى الله عليه وسلم اي الاعمال افضل قال
ايمان بالله وجهاد في سبيله قال ابن حجر في الزواجر فائدة
قال سيدي محيي الدين المراتب التي تعطي السعادة للانسان
اربعة الايمان والولاية والنبوة والرسالة ثم ان العلم من
شرائط الولاية وليس من شرائط الولاية الايمان لان متعلق
الايمان الخير وقد يوجد ولي لله تعالى من غير ايمان كقس بن
ساعدة فانه موحد لا مؤمن وهو سعيد بلا شك وبه يلغز
فيقال لنا شخص يدخل الجنة وهو غير مؤمن وهو من وحد الله

تعالى

تعالى بنور وجده فى قلبه ولم يكن فى زمنه شرع يؤمن به
وهى مسئلة عظيمة اغفلها العلماء خاتمة ذهب الماتريدية
الى ان السعيد هو المسلم والشقى هو الكافر والسعادة الايمان
والشقاوة الكفر وحينئذ فيتصور ان السعيد قد يشقى بان
يرتد بعد الايمان نعوذ بالله تعالى وان الشقى قد يسعد بان
يؤمن بعد الكفر نسأله حسن الخاتمة آمين فان قلت فهل
للملك حظ فى الشقاء فاجاب سيدى عبد الوهاب بانه لا حظ
له فيه واما ما نقل عن هاروت وماروت فلا يصح منه شئ
فالشقاوة والسعادة حاصلان بالجن والانس وحكم عدو
الله وولى الله كحكم الشقى والسعيد سواء بسواء والله اعلم
وقوله ان المطيع لربه لمقرب اى بتركه المنهيات ومداومته
على فعل الطاعات من غير شائبة رياء فى نحو صلاة وصوم
وحج وزكاة واستغفار وتسبيح واذكار بان كان ذلك خالصا
لوجهه سبحانه وتعالى قال فى الفتح المبين العمل اما رياء
محض بان يراد به غرض دنيوى فقط ولو مباحا فهو حرام لا ثواب
فيه واما مشوب برياء ولا ثواب فيه ايضا للخبر الصحيح من عمل
عملا فاشرك فيه غيرى فانا منه برئ هو والذى اشرك
واختلف الغزالى وابن عبد السلام فيمن قصد بعمله الرياء والعبادة
فقال الغزالى وهو معتمد الرملى ان غلب باعث الدنيا فلا ثواب
له او باعث الاخرة فالثواب وان تساويا تساقطا فلا ثواب
ايضا وقال ابن عبد السلام لا ثواب مطلقا والذى يتجه ترجيحه

انه متى كان المصاحب لقصد العبادة رياء مباحا لم يقتض
اسقاط ثوابها من اصلها بل يثاب على مقدار قصده العبادة وان
ضعفا ومحبها اقتضى سقوطه من اصله كما دلت عليه الاحاديث
الكثيرة وقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره قد لا يعكر
على ذلك لان قصد المحرم اوجب سقوطه قصده الاجر فلم يبق
له مثقال ذرة من الخير فلم تشمله الاية وحد الرياء المذموم ارادة
العامل بعبادته غير وجه الله كان يقصد اطلاع الناس على عبادته
وكماله حتى يحصل له منهم نحو جاه او مال او ثناء
او باطنها نحو ل وصفرة ونحو شعث شعر وبذاذة هيئة
وخفض صوت وغض جفن ايهام اجتهاده في العبادة وحزنه
وقلة اكله وعدم مبالاته بالدنيا واهلها وما درى
المخذول انه حينئذ اقبح من اراذلهم كالمكاسين وقطاع
الطريق لانهم معترفون بدنوهم لاغرورهم في الدين
واما باطنها زي الصالحين كاطراق الراس في المشي والهدوء في الحركة
وابقاء اثر السجود على الوجه ولبس الصوف وخشن الثياب وتقصيرها
ايهام انه من العلماء او من السادة الصوفية رضي الله عن محققيهم
وخذل مبطليهم مع الافلاس عن حقيقة العلم او التصوف
بباطنه وما درى الخادع ان كل ما وصل اليه لاجل هذا
التلبيس حرام عليه وانواع الرياء لا تنحصر فان كان متلبسا
بشئ من ذلك ما ازداد من الله الا بعدا ومقتا وطردا والله
اعلم نعم ينبغي للانسان ان يستعين على الطاعة بقرناء الشهوة

لان مداخل الشيطان الى القلب كثيرة منها الشبع من الطعام
وان كان حلالا صافيا لان الشبع يقوى الشهوات والشهوات
اسلحة الشيطان فقد روى ان ابليس ظهر ليحيى ابن زكريا
عليهما السلام فراى عليه معاليق من كل شئ فقال له يحيى
يا ابليس ما هذه المعاليق قال هذه الشهوات التى اصيب بها بنى
ادم قال فهل لى فيها شئ قال ربما شبعت فيثقلك عن الطاعة
وعن الذكر قال هل غير ذلك قال لا قال لله على ان لا املا بطنى
من طعام ابدا فقال ابليس ولله على ان لا انصح مسلما ابدا
انتهى فائدة فان قلت هل يدخل الرياء فى نحو الصلاة على
النبى صلى الله عليه وسلم والاستغفار قلت الاصح انه يدخل
ويؤيد ذلك ما اجاب به الشمس الرملى حين سئل عن قول
العامة ان الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم والاستغفار
لا يردان صحيح ام لا فاجاب بان كلا منهما عمل يجرى
فيهما ما هو مقرر فى بقية الاعمال انتهى فان قال قائل
هل الافضل الاشتغال بالاستغفار ام بالصلاة والسلام
على النبى صلى الله عليه وسلم حيث كان يدخلها الرياء ام يفرق
بين من غلبت طاعته فالصلاة له افضل ام معاصيه فالاستغفار
له افضل فالجواب كما اجاب به الشمس الرملى بان الاشتغال
بالصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم افضل من
الاشتغال بالاستغفار مطلقا فان قلت هل يدخل الرياء
فى الصوم قلت لا يدخل فقد اخرج البيهقى فى الشعب عن ابى

هريرة رضي الله عنه الصيام لا رياء فيه قال ابن حجر في اتحاف
اهل الاسلام المراد بكونه لا رياء فيه ان ذاته التي هي الامساك
بالنية لا يمكن الاطلاع عليها من حيث هي وانما يطلع عليها بالاخبار
عنها بانا صائم ونحوه وحينئذ فالرياء انما هو بهذا القول
لا بالصيام فظهر ان الصيام لا رياء فيه ثم رايت بعض
المحققين صرح بذلك ولا يعارض ما ذكرناه خبر البيهقي
من صام يرائي فقد اشرك لانه لا يستلزم ان يكون يرائي
بنفس صومه بل يقصد بان يرائي بالاخبار عن صومه
نحو انا صائم انتهى ملخصا ثم قال المؤلف

اد الامانة والخيانة فاجتنب واعدل ولا تظلم يطيب المكسب

قوله اد الامانة اي ما ائتمنت عليه شرعا دنيويا او اخرويا
كما هو ظاهر كلامه وقوله والخيانة فاجتنب اي
اجتنب الخيانة فيما ائتمنت عليه وقوله واعدل اي انصف
ولا تظلم لما ورد في الحديث الظلم ظلمات يوم القيمة رواه
البخاري وعن الامام ابي حنيفة اكثر ما سلب الناس
الايمان عند الموت واكثر اسباب ذلك الظلم وقال بعض
العلماء الظلم كبيرة وكذا محبة الظلمة او الفسقة باي نوع
كان فسقهم وبغض الصالحين واذية اولياء الله تعالى
ومعاداتهم وفي فتاوى البديعي من الحنفية رحمه الله تعالى
من استخف بالعالم طلقت امراته وكانه جعله ردة انتهى
وقال الحافظ ابن عساكر لحوم العلماء مسمومة وعادة الله

في هذا

في هتك منقصهم معلومة ومن اطلق لسانه في العلماء بالثلب
ابتلاه الله قبل موته بموت القلب فليحذر الذين يخالفون عن امره
ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم بنبيه تقدم اكثر
ما يسلب الناس الايمان عند الموت واكثر اسبابه ذلك
الظلم وانما يستحق صاحبه اللعن اذا تحقق موته على الكفر
واما ما اختلف فيه كيزيد ونحوه فلا يجوز لعنه كما افتى به
الغزالي وقال بعضهم بجواز لعنه واستدل بقوله عليه
السلام من اخاف اهل المدينة ظلما اخافه الله وعليه لعنة
الله والملائكة والناس اجمعين ولا خلاف ان يزيد
غزا المدينة بجيشه ولخاف اهلها وفي حديث مسلم ووقع
من ذلك الجيش ما وقع من القتل والفساد العظيم والنهبى
واباحة المدينة ما هو مشهور حتى قضى نحو ثلاثمائة بكر
وقتل من الصحابة نحو ذلك ومخر القرآن نحو سبعمائة نفس
وابيحت المدينة اياما وبطلت الجماعة من المسجد النبوي اياما
واختلف اهل المدينة اياما فلم يمكن احد دخول مسجدها
حتى دخلته الكلاب والذئاب وبالت على منبره عليه
السلام تصديقا لما اخبر به عليه الصلاة والسلام وكل
ذلك بسبب يزيد واما لعن الحي فلا يجوز لعنه بوجه ما
وقوله يطيب المكسب اي الكسب فائدة وجد مكتوب
على ايوان كسرى الظلم لا يدوم وان دام دمر والعدل لا يدوم
وان دام عمر ومن لم يكن له ولد ذكر لم يذكر والفقر هو الموت

الاحمر والاعمى ميت وان لم يقبر تنبيه من الظلم ان تظلم
نفسك مخالفتك للاوامر والنواهي او تظلم نفسك كظلم المسيخ
الدجال لنفسه واوامره لغيره فالحذر ثم الحذر من فتنته
فقد ورد في رواية انه لم تكن فتنة في الارض منذ ذرأ
الله ذرية ادم عليه السلام اعظم من فتنة الدجال
وفي رواية ما بين خلق ادم الى قيام الساعة امر اكبر من
الدجال واعلم انه يدعي النبوة ثم الالوهية وهو اعور العين
اليمنى وقيل اليسرى ومعه جنة ونار نحو من ناره من قرأ
فواتح الكهف ونهر يرى ماوراءه ماؤه ابيض ونهر
عكسه وهو الماء البارد ومن فتنته انه يسلط على نفس
واحدة فينشرها شقتين ثم يمشي بينهما ويقول انظروا
فاني ابعثه الان ثم يزعم ان له ربا غيري ثم يبعثه الله فيقول
انت عدو الله الدجال فيريد قتله فلا يقدر عليه بعد
هذا وهو الخضر ومنها انه يأمر السماء ان تمطر فتمطر
والارض ان تنبت فتنبت ومنها انه يأمر النهران يسيل
فيسيل ثم يأمره ان يرجع فيرجع ثم يأمره ان يبس فيبس
ومنها انه يأمر جبل سينا وجبل نوبا ان يلتطما فيلتطما
ومنها انه يأمر الريح ان تسير سحابا من البحر فتمطر الارض
ومنها انه يخوض البحار في اليوم ثلوث خوضات لا يبلغ
حقويه واحدى يديه اطول من الاخرى فيدلي الطويلة
في البحر فتبلغ قعره فيخرج من الحيتان ما يريد ومنها انه يمر

بالخربة فيقول لها اخرجي كنوزي ومنها انه يركب حمارا
مابين اذنيه اربعون ذراعا يستظل تحتها سبعون الفا من
اليهود ومنها انه يصيح ثلاث صيحات يسمعه من اهل المشرق
والمغرب ومنها غير ذلك من المفاسد ما لا يحصى فلا تغتر بقوله
فانه اظلم الظالمين ثم قال المؤلف رحمه الله

واحذر من المظلوم سهما صائبا واعلم بان دعاءه لا يحجب

قوله واحذر من المظلوم اى بغير حق سهما صائبا من الله
تعالى واعلم بان دعاءه اى تحقق بانه لا تحجب لقوله عليه
الصلاة والسلام دعوة المظلوم مستجابة وان كان
فاجرا ففجوره على نفسه وروى دعوتان ليس بينهما وبين
الله حجاب دعوة المظلوم ودعوة الاخ لاخيه بظهر الغيب
فائدة هل يجوز للمظلوم ان يقابل ظالمه بمثل ما فعل
معه من نحو غيبة او قذف او تجسس ام لا والجواب لا يجوز
كما في مختصر الزواجر ونص عبارته لا يجوز للانسان
اذا ظلم بنحو غيبة او قذف او تجسس ان يقابل ذلك لانه
لا حد له يتوقف على المماثلة فيه والقصاص انما يجري
فيما فيه المماثلة نعم رخص لمتنا ان يقابله بما لا يتفاوت
عنه احد كاحمق وجاهل اذ ما من احد الا وفيه جهل
وهو احمق فيما بينه وبين ربه قال الغزالي وكذا يا سيئ
الخلق يا خسيس الوجه يا ثلاب الاعراض اذا كان ذلك فيه
وكذا لو كان فيك حياء ما تكلمت ما احقرك في عيني

بما فعلت خزاك الله انتقم الله منك واما نحو القذف وسب
الوالدين فحرام اتفاقا والافضل ترك الجائز منه لانه يجر الى
ما هو اقبح منه والفحش انتهى ثم قال المؤلف رحمه الله

واخفض جناحك للاقارب كلهم بتذلل واسمح لهم ان ادبروا

قوله واخفض جناحك الخ اشار رحمه الله تعالى الى الوصية
بالاقارب ولين الجانب لهم والصفح عما يصدر منهم والمواساة
لما ورد في ذلك من الحث الاكيد والتاكيد الشديد على
صلة الرحم قال الله تعالى والذين يصلون ما امر الله به
ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب
اعلم ان في هذه الاية تاكيد الحث على صلة الارحام وذوي القربى
من بينك وبينه قرابة وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم
ان البر والصلة ليخفف ان سوء الحساب يوم القيمة وقال
صلى الله عليه وسلم في اثناء حديث ومن كان يؤمن بالله
واليوم الاخر فليصل رحمه وقال صلى الله عليه وسلم مكتوب
في التوراة من احب ان يزاد في عمره وان يزاد في رزقه
فليصل رحمه قال المناوي في شرحه فان صلة الرحم تزيد
في العمر وفي الرزق وقال صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة
بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله
وفي رواية قال صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يدخلون الجنة
مدمن الخمر وقاطع الرحم ومصدق بالسحر وقد اطلنا الكلام
على ما يتعلق بصلة الرحم في الشرح الكبير والوسط

Bibliothek der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft

فمن

فمن اراد المزيد فعليه بهما ثم قال المؤلف رحمه الله تعالى
واذا بليت بنكبة فاصبر لها من ذا رايت مسلما لا ينكب
قوله واذا بليت بنكبة قال في المختار النكبة واحدة نكبات
الدهر ونكب الرجل بالبناء لما لم يسم فاعله فهو منكوب انتهى
ومعناه اذا ابتليت بحادثة من حوادث الدهر فاصبر قال الله
تعالى يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله
مع الصابرين وقال تعالى وبشر الصابرين اى على البلاء وبالجنة
الذين اذا اصابتهم مصيبة اى بلاء قالوا انا لله ملكا وعبيدا
يفعل بنا ما يشاء وانا اليه راجعون في الاخرة فيجازينا وفي الحديث
من استرجع عند المصيبة اجره الله فيها واخلف عليه وفيه
ان مصباح النبي صلى الله عليه وسلم طفئ فاسترجع فقالت
عائشة ان هذا مصباح فقال كل ما ساء المؤمن فهو مصيبة
رواه ابو داود في مراسيله وعن عمر بن الخطاب رضي الله
عنه قال ما اصبت بمصيبة الا ونظرت ان لله علي فيها
ثلاث نعم الاولى ان الله هون منها على فلم يصبني باعظم منها
وهو قادر على ذلك والثانية ان الله تعالى جعلها في دنياي
ولم يجعلها في ديني وهو قادر على ذلك والثالثة ان الله تعالى
يوجرني بها يوم القيمة وفي القاموس الصبر نقيض الجزع
وقال ابن جماعة حد الصبر حسن اليقين عند الجزع والله اعلم

ومن كلام بعضهم

تلق الامور بصبر جميل وصدر رحيب وخل الحرج

وسلم الى الله فى حكمه فاما الممات واما الفرج
وسئل الجنيد عن الصبر فقال هو تجرع المرارة من غير تعبيس
وقال الخواص الصبر الثبات على احكام الكتاب والسنة
وقال رويم الصبر ترك الشكوى وقال السرى ليستقط اصبر
الناس من صبر على الحق خاتمة ينبغى للانسان ان
يتاسى بافعال الصحابة واقوالهم وكذا غيرهم من اهل الصلاح
فقد قيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم فقال من قيس
ابن عاصم رايته يوما قاعدا محتبيا تحدث الناس فاتى
برجل مكتوف واخر مقتول فقيل هذا ابن اخيك قتل ابنك
فوالله ما حل حبوته ولا قطع كلامه فلما اتمه التفت الى ابن
اخيه وقال يا ابن اخى بئسما فعلت اثمت عند ربك وقطعت
رحمك وقتلت ابن عمك ورميت نفسك بسهمك وقللت
عددك ثم قال لابن له آخر قم الى ابن عمك فحل كتافه ووار
اخاك وسق الى امه مائة من الابل لانها غريبة انتهى
فانظر ما اصبره على هذه المصيبة ثم قال المؤلف رحمه الله تعالى

واذا اصابك فى زمانك شدة واصابك الخطب الكريه الاصعب

قوله واذا اصابك اى نابك امر شنيع عظيم وقوله واصابك
الخطب الكريه الاصعب بالخاء المعجمة والطاء المهملة اى
الامر الشديد التعب كما فى المصباح والجمع خطوب مثل فلس
وفلوس وقال الازهرى تقول هذا خطب جليل وخطب
يسير وجمعه خطوب وينبغى لك اذا اصابك ما تكره

Universitäts- und Landesbibliothek Sachsen-Anhalt
urn:nbn:de:gbv:3:5-4955/fragment/page=00000054

ان تلازم على الدعاء كما قال المؤلف رحمه الله

فادعو لربك انه ادنى لمن ... يدعوه من حبل الوريد واقرب

قوله فادع لربك اى ادع الله تعالى فى رفع ما اصابك من الشدائد وان يلطف بك فيها قال ابن طوعان فى المعنى

انى اذا ما انابنى ... امر نفى تلذذى

واشتد منه جزعى ... وجهت وجهى للذى

ومن كلام الشافعى رحمه الله تعالى وهو مجرب فى تفريج كل امر مهم ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعا وعند الله منها مخرج ضاقت فلما استحكمت حلقاتها ... فرجت وكان يظنها لا تفرج

وقوله انه ادنى لمن يدعوه من حبل الوريد قال فى الجلالين الاضافة للبيان والوريد ان عرقان بصفحتى العنق والله اعلم

ثم حذر المؤلف من مخالطة الناس والبعد عنهم بقوله

كن ما استطعت عن الانام معزل ... ان الكثير من الورى لا يصحب

قوله كن ما استطعت عن الانام معزل اشار المؤلف الى العزلة عن بعض الناس لا عن كلهم بدليل التخصيص فى الشطر الثانى وكان له التعميم كما نص عليه فى الشطر الاول والحث على ترك الاجتماع بهم تاسيا بما قاله سيدى عبد الله المتوفى رحمه الله تعالى حيث قال

انست بوحدتى ولزمت بيتى ... فطاب الانس لى وتم السرور

وادبنى الزمان فلا ابالى ... هجرت فلا ازار ولا ازور

وفيه اشارة الى انه ينبغى للانسان ان يتبصر باحوال نفسه

ولا يشتغل بعيب غيره وفي هذا المعنى قال بعضهم

قبيح على الانسان بنيء عيوبه ويذكر عيبا في اخيه قد اختفى
فلو كان ذا عقل لما عاب غيره وفيه عيوب لو راها بها اكتفى

ومما ينبغي للانسان في هذا الزمن عدم الاكتراث بالناس والتودد اليهم كما قال بعضهم

لقاء الناس ليس يفيد شيأ سوى الهذيان من قيل وقال
فاقلل من لقاء الناس الا لاخذ العلم او اصلاح حال

ومما وجد بخط الشعرا في من كلام ابي حنيفة في المعنى

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا
ونهجو في الزمان بغير ذنب ولو نطق الزمان بنا هجانا
وليس الذئب ياكل لحم ذئب ويا كل بعضنا بعضا عيانا

وقال غيره

لما صحبت بني الزمان فلم اجد خلا وفيا للشدائد اصطفي
ايقنت ان المستحيل ثلاثة الغول والعنقاء والخل الوفي

ومن كلام عبد الرحمن الداودي

كان اجتماع الناس فيما مضى يورث البهجة والسلامة فانقلب الامر الى ضده فصارت السلوة في الخلوة

ومن كلامه ايضا

كان في الاجتماع من قبل نور فمضى النور وادلهم الظلام
فسد الناس والزمان جميعا فعلى الناس والزمان السلام

خاتمة ينبغي للانسان ترك اخلاء السوء والعزلة عنهم

ولزوم الوحدة كما ترك بعضهم الاجتماع على الناس
وصار ريستاء نسن بمعاشرة الكلاب لقلة ضررهم وحفظ وداده
ونعم ما فعل خصوصا في زماننا هذا قال في كتاب فضيلة
الكلاب على كثير ممن لبسوا الثياب مما يرغب في صحبة
الكلاب دون الناس اعلم اعزك الله ان الكلب لمن تيقنه
اشفق من الوالد على ولده والاخ الشقيق على اخيه وذلك انه
يحرس ربه ويحمي حريمه شاهدا وغائبا ونائما ويقظانا لا يفتر
عن ذلك وان جفوه ولا يخذلهم وان خذلوه ورأى
عمر بن الخطاب رضي الله عنه اعرابيا يسوق كلبا فقال
ما هذا معك الأذى فقال يا امير المؤمنين نعم الصاحب ان اعطيته
شكر وان منعته صبر قال نعم الصاحب فاستمسك به
ورأى ابن عمر اعرابيا معه كلب فقال له ما هذا معك الأذى قال من
يشكرني ويكتم سريي قال فاحتفظ بصاحبك قال
الاحنف بن قيس اذا بصبص الكلب فتق ببصبصته ولا تثق
ببصابص الناس فرب مبصبص خوان وقال الشعبي خير
خصلة في الكلب انه لا ينافق في صحبته وقال ابن عباس
رضي الله عنهما كلبان من خير من انسان خؤون وقال
بعضهم اتيت يوما الفضل بن يحيى وصاد فته يشرب
وبين يديه كلب فقلت له اتنادم كلبا قال نعم يمنعني
اذاه ويكف عني اذى سواه ويشكر قليلي ويحرس بيتي ومقيلي
وذكر بعض الرواة قال كان للربيع بن بدر كلب قد ربّاه

فلما مات الربيع ودفن جعل الكلب يضطرب على قبره
حتى مات وكان لعامر بن عنترة كلاب صيد وماشية
وكان يصحبها فلما مات عامر لزمت الكلاب قبره حتى ماتت
عنده وتفرق عنه الاهل والاقارب وروى لنا عن شريك
قال كان للاعمش كلب يتبعه في الطريق اذا مشى حتى يرجع
فقيل له في ذلك قال رايت صبيانا يضربونه ففرقت بينهم
وبينه فعرف ذلك لي فشكرني فاذا راني يبصبص لي
ويتبعني وروى عن بعضهم انه قال الناس في هذا الزمن
خنازير فان وجدتم كلبا فتمسكوا به فانه خير من
ناس هذا الزمن قال الشاعر

اشد يديك بكلب ان ظفرت به فاكثر الناس قد صاروا خنازيرا

وانشدني ابو العباس الازدي

لكلب الناس ان فكرت فيهم اضر عليك من كلب الكلاب
لان الكلب تخسوه فيخسا وكلب الناس يرضى للعتاب
فان الكلب لا يؤذي جليسا وانت الدهر من ذا في عذاب

حدثنا احمد بن منصور عن ابيه عن الاصمعي قال
حضرت بعض الاعراب الوفاة وكلبه في جانب خيمته
فقال لاكبر اولاده

اوصيك خيرا به فان له صنائعا لا ازال احمدها
يدل ضيفي علي في غسق الليل اذا النار نام موقدها

والكلام في هذا المحل منتشر جدا لكن الاختصار

فيه

فيه البلاغ ثم قال المؤلف رحمه الله

واجعل جليسك سيدا تحظى به حبر لبيب عاقل متأدب

اشار في هذا البيت الى الحث على اتخاذ الجليس الكامل من شوائب النقص كما قال بعضهم

من عاشر الاشراف عاش مشرفا ومعاشر الاذال غير مشرف
ما انتظر الجلد الحقير مقبلا بالثغر الا صار جار المصحف

وقال بعضهم من كثر اده بدام شرفه وان لم يكن حسيبا وعظمت الحاجة اليه وان قل ماله وساد وان كان مجهولا وقيل فضل الانسان يبين من فضل علمه وادبه من فضل معاشرته وشرفه من نزاهة نفسه ثم قال المؤلف

واختر صديقا واصطفيه تفاخرا ان القرين الى المقارن ينسب

اشار الى اتخاذ الصديق والافتخار بالانه باتخاذه له ينسب اليه فينبغي للانسان البحث عن حال من تخذه صديقا قبل اخذه ليكون على بصيرة قال الشاعر في المعنى

اذا كنت في قوم فعاشر خيارهم
ولا تصحب الارذى فترذى مع الردى
عن المرء لا تسئل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن مقتدى

والصديق هو الذي يحزن لحزنك ويفرح لفرحك قال الشاعر في المعنى

ان اخاك الصدق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك

ومن اذا ريب الزمان صدعك شتت شمل نفسه ليجمعك
وقال بعض الحكماء ينبغي للعاقل ان تتخذ صديقا ينبهه
على عيوبه فان الانسان لا يرى عيب نفسه بل ربما
يكون الصديق اعز من الاخ كما قيل لبعضهم ايما تحب
اخوك ام صديقك قال احب اخي اذا كان صديقي
والله اعلم خاتمة ينبغي للصديق ان يتحمل من صديقه
ثلاثا الهفوة والزلة والغضب قال الاحنف بن قيس وقد
قيل من راءه سليما من هفوة والتمس بريئا من كبوة
فقد رام من الدهر خلاف ما هو عليه وقال بعض
الحكماء لا صديق لمن اراد صديقا لا عيب فيه وقال
بعضهم قد يهفو الصديق ونيته سليمة ولله در
بعضهم حيث قال

اقل ذا الود عثرته وقفه على سنن الطريق المستقيم
ولا تسرع بمعتبة اليه فقد يهفو ونيته سليمة

ثم قال المؤلف رحمه الله

واحذر مواخاة الدني لانها تعدي كما يعدي السليم الاجرب

اشار الى اجتناب مواخاة الدني وهو الخسيس الخبيث
البطن والفرج كما في القاموس وقوله لانها تعدي الخ
اي لان مواخاة الدني تعدي مجازا كما يعدي
الاجرب السليم حقيقة وكذا ينبغي لك اجتناب مواخاة
اللئيم ومصاحبته وان لم ينص عليه بل يكون اولى

كما قال الغزالي رحمه الله تعالى
احذر مصاحبة اللئيم فانه يردى عليك بطبعه المعكوسا ٣
واختر مصاحبة الكريم فانه فطن كريم طبعه مأنوسا
فاعمل تحذيري واغراي تجد قولي صحيحا ثابتا ونفيسا

ثم قال المؤلف رحمه الله تعالى

ودع الكذوب ولا يكن لك هجيرا ان الكذوب لبئس خلا يصحب

قوله ودع الكذوب اى الكذاب وهو من يخبر بالشيء على خلاف ما هو عليه ففيه اشارة الى اجتنابه لانه لا يؤمن ضرره ولان الكذب جامع كل شر واصل كل ذم لسوء عواقبه وخبث نتائجه لانه ينتج النميمة والنميمة تنتج البغضاء والبغضاء تؤول الى العداوة وليس مع العداوة امن ولا راحة وفي الحديث ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وحج واعتمر وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان وقال الشاعر في ذم الكذوب

حسب الكذوب من المهانة بعض ما يحكى عليه
ومتى اشيعت كذبة من غيره نسبت اليه

خاتمة قد يجوز الكذب في ستة مواضع اوضحناها في الشرح الكبير منها في الجهاد لتفريق الكفار ومنها ما يتجاهر به الفاسق ومنها دفع الظالم عن ماله او لغيره او عرض كذلك ومنها في ستر معصية منه او من غيره

ومنها اصلاح ذات البين ومنها جبر خاطر امراة او ولد.
وقوله ليس خلا بصحب لان الخليل هو الصديق وهو مأخوذ
من الخلة بضم الخاء وهي الصداقة انتهى قال المؤلف رحمه الله

وذر الحقود ولو صفا لك مرة وابعد عن رؤياك لا يستجلب

اشار الى اجتناب الحقود مطلقا وان صفا في بعض الاحيان
لان صفاه على خلاف الاصل فينبغي لك اجتنابه لعدم كمال
ايمانه او عدمه بالكلية فقد ورد في الحديث المؤمن
ليس بحقود ولئلا يجلب لك ما يكدر خاطرك خصوصا
في زماننا هذا فعليك بالعزلة فقد كان صلى الله عليه
وسلم عند تقلب الاحوال واختلاف الرجال وكثرة القيل
والقال يأمر بالاعتزال وملازمة البيوت ثم اشار
المؤلف الى ذمته ايضا فقال

ان الحقود وان تقادم عهده فالحقد باق في الصدور مغيب

قوله ان الحقود وان تقادم عهده اي بعد فالحقد وهو
اثر الغضب لانه اصله باق وبيان ذلك ان الغضب اذا لزم
وكظم لعجزه عن التشفي حالا رجع الى الباطن واحتقن
فيه وصار حقدا وحينئذ يلزم قلبه اشتغاله وبغضه
ومن ثمراته ان يحسده ويتمنى زوال نعمته ويفرح بمصيبته
ويطلق لسانه بما لا يحل فالحسد من نتائجه كما علم انتهى
واعلم ان الغضب والتكبر قد يورثان سوء الخاتمة فقد ورد
ان ابليس لقي موسى عليه السلام فقال يا موسى انت الذي

اصطفاك

اصطفاك الله برسالته وبكلامه تكليما وانا من خلقه اذنبت
وانا اريد ان اتوب فاشفع لي عند ربك ليتوب علي فقال موسى
نعم فدعا موسى ربه عز وجل فقال يا موسى قد قضيت حاجتك
فلقي موسى ابليس وقال امرني ان تسجد لقبر ادم عليه السلام
ليتوب عليك فاستكبر وغضب وقال لم اسجد له حيا اسجد له
ميتا فانظر عاقبة الغضب كيف اورثته طردا وبعدا من
رحمته تعالى وقوله في الصدور مريبا اي لا يطلع عليه احد
وعلامته اصفرار الوجه لا لعلة فيجب على صاحبه معالجة
اخراجه من قلبه ويطهر باطنه وقال بعضهم الكريم لا يحمل
حقدا كما قال الشاعر

ولا احمل الحقد القبيح على المدا وليس كريم القوم من يحمل الحقدا

خاتمة فيها امر مهم وهو فان قلت هل يزول الحقد بالموت
اولا وعلى فرض زواله يكون اي وقت والجواب ان مات على
حسد او بغض او عداوة ولم يتب من ذلك فانه يستمر متلبسا به
بعد الموت ولا يزول ذلك عنه الا عند الدخول للجنة وبذلك
افتى النجم الغيطي حين سئل ما قولكم فيما وقع بين الناس
من حظوظ الانفس والتشاحن والتشاجر والتباغض
في دار الدنيا ويموت احدهم ويدفن في قبره ويعيش عدوه بعده
ويشمت في موته فهل الميت الذي في قبره يتالم وينضر بحياة
عدوه بعده وشماتته فيه ولا فبمجرد طلوع روحه يذهب
عنه التحاسد والتباغض وحظوظ الانفس التي كانت بينه

قد سقط هنا امر
لموسى ان يخبر ابليس
بالسجود لادم ع
قبره فانظره

وبين الناس وينتقل من دار الدنيا الى دار الاخرة التى ليس
فيها تحاسد ولا تباغض فاجاب يموت الانسان على ما غلب
عليه ويبعث على ذلك فاذا كان قلبه منطويا على حسد
او بغض او عداوة ولم يتب من ذلك ولم يطهر قلبه منه
ومات مصرا عليه فانه يستمر متلبسا به ولا يزول عنه
ذلك الا عند الدخول للجنة يدل على ذلك الدليل من القران
والاحاديث والاثار ولا مانع من تضرر الميت من شماتة
عدو فيه بالموت وايذائه له بعده لان الموتى تعرض عليهم
احوال الاحياء كما ورد فى ذلك وقد نبه المؤلف على حفظ
اللسان بقوله رحمه الله

واحفظ لسانك واحترز من لفظه فالمرء يسلم بالسكوت ويعطب

اشار الى التحذير من اللسان لانه اعصى اعضاء الانسان
فيه ينجو وبه يهلك فقد قال الامام على رضى الله عنه
المرء مخبوء تحت لسانه ولان معظم الافات دائرة عليه
كما اشار الى ذلك السبكى فى تائيته بقوله
لسانى فى لغو الفواحش موغل يمين وكم واستب وغيبة
فقد جمع فى هذا البيت معظم افات اللسان وهى دائرة
على السنة كثير من الناس الان وقد قال الفضيل لا حج ولا
رباط ولا جهاد اشد من حبس اللسان ثم قال المؤلف
وزن الكلام اذا نطقت ولا تكن بزيادة فى كل نادٍ تخطبُ
قوله وزن الكلام اى زنه بميزان الشرع قبل ان تنطق بما لا

فائدة

فائدة فيه فقدة لصلى الله عليه وسلم من حسن اسلام
المرء تركه ما لا يعنيه وقال بعض العارفين من عد كلامه
من عمله قل سقطه وقد اشار المؤلف الى كتم السر بقوله

والسر فاكتمه ولا تنطق به ان الزجاجة كسرها لا يشعب

قوله والسر فاكتمه اى وجوبا ان ترتب عليه مفسدة
لئلا يرجع عليك بالنكال وقد قال بعضهم في المعنى
صن السر عن كل مستصحب وحاذر فما الرأى الا الحذر
اسيرك سرك ان صنته وانت اسير له ان ظهر

وقال بعضهم

وصاحب من صحبت بعزم حرص ولا تودعه اسرار الفؤاد
بعض الناس ظاهرهم بياض وباطنه فاحلك من سواد
وقوله ان الزجاجة كسرها لا يشعب اى ان الزجاجة كسرها
لا يجبر بخياطة ونحوها كما قال الشاعر،

احرص على حفظ القلوب من الاسى فصفاؤها بعد التكدر يعسر
ان القلوب اذا تنافر ودها مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

ثم اشار المؤلف الى التحذير من مكايد النساء بقوله

وتوق من غدر النساء خيانة فجميعهن من مكايد ذلك تنصب
لا تأمن من الانثى زمانك كله يوما ولو حلفت يمينا تكذب
تغري بطيب حديثها وكلامها واذا سطت فهي الصقيل الاشطب

اشار في هذه الابيات الثلاثة الى ان الشخص ينبغي له ان
يحترس من غدر النساء لان الله وصف كيدهن بالعظم

ولانه ورد فى الحديث النساء حبائل الشيطان وقال
بعض العلماء فى المعنى
رايت الهم فى الدنيا كثيرا واكثر ما يكون من النساء
فلا تاءمن زمانك قط انثى ولو نزلت اليك من السماء
وقوله فجميعهن مكايد لك تنصب خصوصا نساء اهل
هذا الزمن التى غلب عليهن اللؤم وقلة الحياء وقوله لاتاء
الانثى جمع الانثى اناث وقيل انث بضمتين كانه جمع اناث
قاله فى المختار وقوله ولو حلفت يمينا تكذب لشؤمها
ولؤمها وخبث ما انطوت عليه وقوله تغرى بطيب
حديثها اى تغر من الغرور لا من الاغراء من تخاطبه فلا تغتر
بها لانها لا تدوم على حالة واحدة ولا تبقى على خليل بل تغير
من حال الى حال وتنتقل من خليل الى غيره وتتلون بالوان
شتى فتارة تصل وتارة تقطع وتارة ترضى وتارة تغضب
وتارة تجفو وتارة تتودد وتارة ترغب فى خليل وتارة
ترغب عنه كما قال بعض الاعراب
شكوت فقالت منك هذا بتر ما
نحبى اراح الله قلبك من حبى
فلما كنت الوجد قالت تعنتا
صبرت وما ذا هين من شجى القلب
وادنو فتعصينى فابعد طالبا
رضاها فتعتاد التباعد من ذنبى

فشكواى

فشكواى يؤذيها وصبرى يسوءها
وتجزع من بعدى وتنفر من قربى
فيا قوم هل من حيلة تعرفونها
تشيروا بها واستوجبوا الاجر من ربى

وقال اخر

تقيم معاذيرا وتزعم صلاتها وتطمع اما لى بها فالين
وتحلف ايمانا تجود بوصلها وليس لمخضوب البنان يمين

وقوله وكلامها عطف تفسير وقوله واذا سطت بالسين والطاء المهملتين فهى الصقيل الاشطب اى السيف القاطع وجعلها سيفا استعارة لطيفة وكان من عادة العرب انهم اذا اراوا استدعاء من حولهم من القوم فى ليل او نهار شهروا السيف الصقيل ورقوا به فتظهر لمعته على بعد فيأتون اليه مهتدين بنوره ومؤتمين بهديه تنبيه دخل فى عموم كلام المؤلف سائر النساء وقد تخصص العموم بنساء بعض الانبياء والصحابة ومن قيل بنبوتهن فانهن لم تحصل منهن معاذرة منه بل لم يقع من غيرهن من الصالحات فعن عبد الواحد بن زيد قال سالت الله ثلاث ليال ان يريني رفيقي في الجنة فقيل يا عبد الواحد رفيقك في الجنة ميمونة السوداء فقلت واين هي فقيل لي في بني فلان بالكوفة فخرجت الى الكوفة وسالت عنها فقيل لي هي مجنونة ترعى غنيمات فقلت اريدان اراها فقالوا اخرج الى الجبانة فخرجت فاذا هي قائمة تصلي وبين يديها عكاز وعليها جبة صوف مكتوب عليها

لاتباع ولا تشترى واذا الغنم مع الذئاب فلما رأتنى وجزت فى صلا
ثرة لت ارجع يا ابن زيد ليس الموعد ههنا انما الموعد الاخرة فقلت
رحمك الله من اعلمك انى ابن زيد فقالت اما علمت ان الارواح جنود
مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فقلت لها
عظينى فقالت واعجبا من واعظ يوعظ انه بلغنى انه ما من عبد
اعطى من الدنيا شيأ فابتغى اليه ثانيا الا سلبه الله حب الخلوة
ومقته وبدله بعد القرب بعدا وبعد الانس وحشة ثم انشات تقول

يا واعظا قام لاحتساب ... تزجر قوما عن الذنوب
تنهى وانت السقيم حقا ... هذا من المنكر العجيب
لو كنت اصلحت قبل هذا ... عيبك او تبت عن قريب
كان لما قلت يا طبيبى ... موضع صدق من القلوب
تنهى عن الغى والتمادى ... وانت فى النهى كالمريب

فقلت لها انى ارى هذه الذئاب مع الغنم فلا الغنم تفزع من الذئاب
ولا الذئاب تاكل الغنم فاى شئ هذا فقالت اليك عنى فانى
اصلحت ما بينى وبين سيدى فاصلح بين الذئاب والغنم ثم
اشار المؤلف الى التحية عند لقاء العدو والتحذير منه فقال

والق عدوك بالتحية ولتكن ... منه زمانك خائفا ترقب
ولحذره يوما ان تراه باسما ... فالليث يبدو انابه اذ يغضب

قوله والق عدوك وهو من يحزن لفرحك ويفرح لحزنك بالتحية
وهى السلام او ما يشعر بالتعظيم كوضع اليد على الصدر او الرأس
ونحو ذلك او المدح كما قال الشافعى فى المعنى

عداى لهم فضل علىّ ومنة فلا قطع الرحمن عنى الاعاديا
هم عرفونى ازلتى فاجتنبتها وهم نافسونى فارتقيت المعاليا
وقوله ولتكن منه الخ اى تترقبه فى سائر حالاتك لتجتنبه ان لم
تقدر على مكافاته فان قدرت عليها فعليك به كما قال بعضهم
يقول لك العقل الذى زين الفتى اذا لم تكن تقدر عدوك فداره
ولاقه بالترحيب والبشر والقرى وبارك له ما دمت تحت اقتداره
وقبل يد الجانى التى لست قادرا على قطعها وارقب سقوطا جذا
تنبيه اعلم انه قد تكون العداوة ناشئة عن الحسد فينبغى للانسان
الصفح والعفو عما يقع من عدوه ناسيا بما قاله اما منا الشافعى
ان تحسدونى فانى غيركم لاننى قبلى من الناس اهل الفضل قد حسدوا
فدام لى ولهم مالى ومابهم ومات اكثرهم غيظا بما يجدوا
انا الذى نجدونى فى صدوركم لا ارتقى صدرا منها ولا اردوا
وقوله واحذره يوما ان تراه باسما اى لا تغتر به اذا رايته
متبسما وخذ حذرك منه واصحبه بالمكر والخديعة ولا
تركن اليه ولا غيره ايضا ممن وثقت به او ظننت انه صديقك
لانه اشد عداوة لك كما نص عليه صاحب شرح لامية العجم
وقوله فالليث بالمثلثة الاسد وبه سمى الرجل وجمعه ليوث
والانثى لبؤة وجمعها لبات انتهى مصباح وقوله يبدونابه
اى يظهر حين غضبه ومثل بالليث دون سائر الحيوانات
لان هذه الصفة لا تكون لغيره انتهى ثم اشار المؤلف الى تغيير
حال الصديق وانه يجتنب كما يجتنب العدو بقوله

رحمه الله
وا

واذا الصديق رايته متملقا فهو العدو وحقه يتجنب
لاخير في ودامرئ متملق حلو اللسان وقلبه يتلهب
يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ عنك كما يروغ الثعلب
يلقاك يحلف انه بك واثق واذا توارى عنك فهو العقرب

قوله واذا الصديق رايته متملقا اى يظهر التواضع وعدم الاعجاب
والانتصار للصحة الاقوال والافعال مع البشاشة والتعظيم والاجلال
ويبطن خلاف ذلك فاجتنبه وحكم ذلك ان ترتب عليه اعانة
على باطل وتحسين ما قبحه الشرع او تقبيح ما حسنه الشرع
او غير ذلك من المفاسد يكون حراما وحينئذ ينبغي لك اجتنابه
لذلك وقوله فهو العدو وحقه يتجنب اى في اقواله وافعاله
كما قيل لبعض الحكماء اى الناس احق ان يتقى قال صديق مخادع
لانه في الحقيقة عدو وقال بعضهم

ثق بالذي تلقاه لونا واحدا حرا لاحكام المودة يربط
ودع الذي متلونا بطباعه ملعون ذي الوجهين وهو مفرط

وقوله يتلهب اى يشتعل كالنار وقوله يعطيك من طرف اللسان
حلاوة اى يتكلم معك بكلام كالحلاوة الرفيعة القدر ويروغ
بالراء المهملة وبالزاى اى يميل عنك كما يروغ الثعلب بالمثلثة
والعين المهملة حيوان معروف ذكر ثعلب بفتح الثاء
وانثاه ثعلبة وقد مثل به دون سائر الحيوانات لشدة
مكره وخداعه وحيلته وهو سبع جبان مستضعف
ومن حيلته في طلب رزقه انه يتماوت وينفخ بطنه ويرفع قوائمه

حتى

حتى يظن انه مات فاذا قرب منه حيوان وثب عليه وصاده
انتهى ومن الامثال قالوا اروغ من ثعلب قال الشاعر

كل خليل كنت خالته ... لا ترك الله له واضحه
كلهم اروغ من ثعلب ... ما اشبه الليلة بالبارحه

وقوله يلقاك اى يواجهك يحلف اى لك انه بك واثق فلا تغتر به
وقوله واذا توارى عنك فهو العقرب اى كالعقرب وقد مثل بها
لشدة ضررها لانها تقتل الفيل والبعير والافعى وهى دويبة
صغيرة معروفة للخاص والعام ثم اشار المؤلف الى ان الشخص اذا
ضاق عليه رزقه بمكان ان يرتحل منه بقوله

واذا رايت الرزق ضاق ببلدة ... وخشيت فيها ان يضيق المكسب
فارحل فارض الله واسعة الفضا ... طولا وعرضا شرقها والمغرب

قوله واذا رايت الرزق ضاق ببلدة اى ومكان وخشيت
اى سواء علمت وتحققت او ظننت او شككت او توهمت فارتحل
الى بلدة اخرى او مكان اخر وقوله فارض الله واسعة الفضا
اى لتحصيل الرزق ولا بد ان يكون ذلك مقرونا بتقوى الله
تعالى قال بعضهم رحمه الله تعالى

مفتاح رزقك تقوى الله فاتقه ... وليس مفتاحه حرصا ولا طمعا
والعلم اجمل ثوب انت لابسه ... فاخترله محلين الدين والورعا

وينبغى لك اذا كرهت منزلا او كرهك اهله الانتقال منه كما

اذا كرهت منزلا ... فدونك التحولا
وان جفاك صاحب ... فخذ عليه بدلا

لاتحمل اهانة من صاحب وان علا
فمن ابى فمرحبا ومن تولى فالى

ومن كلام سيدى عبد العزيز الديرينى

اذا ما ضاق صدرك من بلاد ترحّل طالبا ارضا سواها
فانك واجد ارضا بارض ونفسك لم تجد نفسا سواها
مشيناها خطا كتبت علينا ومن كتبت عليه خطا مشاها
ومن كانت منيته بارض فليس يموت فى ارض سواها

وقال بعضهم

اذا كنت فى ارض يهينك اهلها ولم تك ذا عز بها فتغرب
فان رسول الله لم يستقم له بمكة حال فاستقام بيثرب

ثم قال المؤلف رحمه الله تعالى

فلقد نصحتك ان قبلت نصيحتى فالنصح اغلى ما يباع ويوهب

قوله فلقد نصحتك ايها المخاطب ان قبلت نصحتى بقبولك لها

وعدم اعتراضك علىّ وفيه اشارة الى التعريض لا الالزام
وقوله فالنصح اغلى ما يباع ويوهب الواو هنا ليست بمعنى
او وقد تقدم الكلام على النصيحة ثم قال

خذها اليك قصيدة منظومة جات كنظم الدر بل هى اعجب
حكم وآداب وجل مواعظ امثالها لذوى البصائر تكتب

قوله خذها اى بلا مقابل من فاضل لانها حكم جمع حكمة لذوى
البصائر رغما على انف المعاند كما اشار الى ذلك ابو الحسن الناصرى

يا جاهلا عاب شعرى نكد قلبى وآلم

على تخت القوافي وما على اذا الـ

فاصغ لوعظ قصيدة اولاكما طود العلوم الشامخات الاهيب

قوله فاصغ اى اجمع حواسك لما دل عليه طود العلوم اى جبلها وقوله الشامخات اى الشاهقات قال في المختار الجبل الشوامخ الشواهق وقد شمخ الجبل من باب خضع وشمخ الرجل بانفه تكبر وقد عنى المؤلف بنفسه فقال

اعني عليا وابن عم محمد من خص بالشرف الرفيع الانسب

قوله اعني عليا اى ابن ابي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم قال هذه القصيدة كما هو صريح لفظه لكن الصحيح كما قال صاحب القاموس انه لم ينظم من الشعر الا بيتين وهما قوله

تلكم قريش تمنانى لتقتلنى فلا وربك ما بروا وما ظفروا

فان هلكت فرهن ذمتى لهم بذات وذق فلا يعفوا لها اثر

وقيل انها لعلى الرضا ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين بن علي ابن ابي طالب ابن عبد المطلب فهو ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم بوسائط من جهة الابوة وربما كان هذا هو الصحيح ومن ادعى خلاف ذلك فعليه البيان بنقل صريح وقوله وابن عم محمد من خص بالشرف الرفيع الانسب اى خص صلى الله عليه وسلم بعلو النسب كما هو معلوم لكل احد جاهلية واسلاما وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة

ابن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان انتهى النسب الذي لا اختلاف فيه ثم قال المؤلف رحمه الله تعالى ونفعنا به والمسلمين

يارب صل على النبي وآله عدد الخلائق حصرها لا يحسب

قوله يارب الرب اسم من اسماء الله ولا يقال لغيره الا بالاضافة وقوله صل الصلاة من الله الرحمة وقوله على النبي بالهمز وتركه فمأخوذ من النبأ وهو الخبر وآله اقاربه وقيل امته والخلائق المخلوقات وقد اتى بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لقوله عليه الصلاة والسلام من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب وفي رواية من كتب عني علما فكتب معه صلاة علي لم يزل في اجر ما قرئ ذلك الكتاب نبيه طلب المؤلف من الله تعالى ان يصلي على النبي وحكمة ذلك ان الله طاهر لا عيب فيه وفي البشر العيوب فكيف يثني ذو العيب على الطاهر فسأل الله ان يصلي عليه ليكون الصلاة وقعة من رب طاهر على نبي طاهر فان قلت كان ينبغي للمؤلف ان يطلب من الله ان يسلم عليه ايضا لان قرن الصلاة عن السلام مكروه قلت يحتمل ان يسلم عليه لفظا فعله كما يحتمل بسم الله وفي اولها والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وهذا آخر ما اوردناه على هذه القصيدة بالاختصار وفي هذا القدر كفاية لاولي الابصار والله الله في الاعتذار وترك الانكار فان شيئا لا يعدو عليه الخطأ والمرجو ممن اطلع على هفوة ان يصلحها باحسان فاني بالجهد معلوم وشيء عن الخطأ غير معصوم والمصنف غير والناقد بصير وما جاد ونعوذ بالله من سلسلة يتبع اذناه وجهل يتبع هواه ومنكر يعرف الحق فيتعداه والعلم ضروري ان جهل شيئا علمه ولا حول ولا قوة الا بالله والحمد لله اولا واخرا وظاهرا وباطنا وصلى الله على من لا نبي بعده عدد خلقك ورضى نفسك وزنة عرشك كلما ذكرك الذاكرون وكلما غفل عن ذكرك الغافلون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

قد تم طبع هذا الكتاب بعون الله الملك الغني الوهاب

BIBLIOTHEK der Deutschen
Aus THORBECKE's

ʿAbd al-Muʾṭī

De 2561

Universitäts- und Landesbibliothek Sachsen-Anhalt
urn:nbn:de:gbv:3:5-4955/fragment/page=00000076